روايات رومانسية عالمية
عبير



اليزابث غراهام

غضبُ العاشِق

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية
عبير

غضب العاشق

ينتظر
الانسان شيئا مبهما غريبا
فى داخله.. وفجأة تلتمع شرارة فى
العيون .. يصاب القلب بسهم خفى وتتوق الروح
الى الانفلات نحو المجهول. هذا ما حصل للمكسيكى
الثرى دييغو راميريز حين التقت عيناه بعينى لورا الجميلة،
عارضة الازياء المشهورة على شاطىء الاكابولكو. لكن العاشق
راميريز يعرف بأن لورا مخطوبة ولا امل له بالزواج منها.. وهنا
تلعب الاقدار لعبتها لتجمع راميريز بحبيبته فى ظل ظروف
غريبة، اعتبرتها لورا انتهازية وقاومت.. لكن ما كتب على
الجبين يجب ان تراه العين.. فهل تسعد لورا بنصيبها
وتقتنع به، ام يخلصها خطيبها برانت من يد هذا
المكسيكى المتعصب؟

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية - القاهرة
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت :٥١٤٢٦٥٥ - موبايل :٠١٢٢٧٨٦٤١٨

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

JACINTHA POINT

١ ـ دعوة لم تتم

«سيداتي، آنساتي، سادتي، دار الأزياء ماريتا يسعدها أن تستقبلكم في أول عرض لها في مدينة أكابولكو. الجوّ الساحر الذي يحيط بنا أوحى إلينا بتسمية موضوع المجموعة بـ «الاناقة تحت الشمس». وإن عدداً كبيراً من الناس بينكم ربما يتساءلون ما اذا كانت هذه الاناقة ضرورية، فيا يتعلّق باللباس الخاص لشاطىء البحر. دار ماريتا تؤمن بحزم أن المرأة تهتم بأناقتها وأنوثتها، على شاطىء البحر، كما في النوادي الليلية، أو السهرات العائلية».

توقفت لورا ترانت لحظة وراحت تحدّق في الجمهور الجالس وراء الطاولات الصغيرة الموضوعة إلى جانبي حلبة عرض الازياء. معظم الحضور من السياح الاميركيين الذين يعتبرون هذا الحدث نوعاً من التسلية الاضافية في وسط العديد من مختلف الموارد والثروات التي تشتهر بها محطة الحمامات المشهورة. لا يوجد إلاّ عدد قليل من الشباب، رجالاً كانوا أم فتيات. ان معظمهم من الازواج في منتصف العمر. وبرغم الهواء المكيّف، كان العرق يتصبب من كل فرد والرجال يمسحون وجوههم العاربة باستمرار. والنساء تخلصن من حدّة الشمس

التي تحرق بشرتهن ويتمتعن الآن في الظل بينما يشاركن في حضور عرض الازياء.

ولفت انتباه لورا امرأة ورجل. الرجل لم يتوقف لحظة عن التفرس فيها مطولاً. ظاهرياً لم يكن أمريكياً. إذ عيناه السوداوان وأنفه المعقوف وفمه المتعجرف وبشرته السمراء الداكنة، كلها تشير الى أنه من أصل إسباني. وكذلك المرأة التي ترافقه. إنها سمراء ذات عينين سوداوين وشعر داكن، ترتدي فستاناً أسود باكمام طويلة يغطي قامتها الناضجة.

التفتت لورا من جديد نحو الرجل الذي كان يحدّق فيها في الشدة نفسها. فاخفضت عينيها على الاوراق المطبوعة الموضوعة على ركبتيها. واضافت تقول للجمهور:

«والآن ماريللا ستفتتح العرض في زي السباحة وسترة الشاطىء المصنوعة من القماش نفسه».

وظهرت على المنصة فتاة طويلة القامة، سمراء، شديدة النحافة. وحدها لورا بعينيها الزرقاوين المدرّبتين، يمكنها أن تكتشف توتر هذه العارضة المبتدئة. لكن مع الوقت سوف تكتسب هذه الفتاة المكسيكية خبرة تجعلها عارضة أزياء من الطراز الاول. وكانت لورا تشرح للجمهور التفاصيل التي تجعل من هذا الموديل الأناقة والخفة معاً. لكنها استغربت عندما رأت أن الفتاة تفقد هدوءها وتضطرب وهي تقترب من المكان الذي يجلس فيه الزوجان المكسيكيان. وبينما كانت عارضة الازياء تعود الى حيث بدأت متوترة، ألقت لورا الى الزوجين نظرة سريعة مرتبكة ومترددة. الرجل

قطّب حاجبيه في استهجان واضح. وبدا أنه لا يستحسن رؤية واحدة من بنات بلده تعرض أمام الرجال أزياء السباحة. وردّدت لورا لنفسها وهي تهزّ كتفيها النحيلتين:

«هؤلاء اللاتين لم يتحرّروا بعد». ثم عادت لتكمل تعليقها حول الموضة وتشرح بوضوح فوائد كل زي ترتديه عارضة الازياء، التي تمرّ من أمامها. في الاجمال، كانت سعيدة من النتائج بعد أسابيع قليلة من التمارين. ومتى أصبح الموظفون المحليون المكسيكيون العاملون في المحل الجديد قادرين أن يعتمدوا على أنفسهم، حينئذ يمكن للورا أن تعود الى لوس انجلوس... وبالتالي تلتحق بخطيبها برانت. لكن لا داعي للأسترسال في الافكار خلال عرض الأزياء.

وعندما انتهى العرض، سرّت النساء الامريكيات بالموديلات التي بدت شديدة الاناقة على أجسام عارضات الازياء، اللواتي لوحت الشمس أجسامهن. وبدأن يطلبن منها بالكميات. إيلينا، الفتاة المكلفة بإدارة الفرع بعد ذهاب لورا، ساعدتهن في التوجه الى المحل الواقع في الفندق نفسه.

ولما عادت لورا إلى الكواليس، راحت تهنىء عارضات الأزياء الأربع، بحرارة لهذا العرض الافتتاحي. وحدها ماريللا لم تكن راضية عن نفسها ولم ترد على ابتسامتها. فاذا بلورا تقترب منها وتسألها بعدما اسندت ظهرها الى الحائط وكتفت يديها:

«ماريللا، ما بك؟»

بدت الفتاة المكسيكية بشعرها الأسود اللامع المرفوع بكعكة إلى اعلى رأسها آية في الجمال. لكنها ظلّت صامتة. فأكملت لورا

الكلام تقول:

«كل شيء كان رائعاً الى أن وصلت الى نهاية المنصة. ماذا حدث حينئذ؟»

أجابت الفتاة بعد تردد ظاهر:

«السينيور راميريز إنه لا يحب رؤية امرأة ترتدي زي السباحة، إلاّ إذا كانت تسبح أو تتشمّس على شاطىء البحر».

فقالت لورا باستغراب وبلهجة لاذعة:

«في هذه الحال، لماذا جاء يحضر العرض. يا لهذه السخافة المضحكة! ومن يكون هذا السينيور... السينيور راميريز؟ هل هو قريب لك؟»

أجابت ماريللا في نوع من الاحترام:

«آه! لا! إن السينيور دييغو راميريز هو أحد أهم شخصيات المكسيك. إنه من عائلة عريقة وقديمة. لها تأثير كبير في بلادنا. إن السينيور دييغو هو...»

قاطعتها لورا غاضبة أن ترى النساء اللواتي يعشن في القرن العشرين لا يزلن يخضعن للتقاليد البالية.

«ليس هذا امتيازاً يعطيه الحق في أن يقرر أين ومتى يمكن للمرأة أن ترتدي زي السباحة. المرأة التي ترافقه لا شك في أنها مضطرة الى أن تخضع لرغباته لكن لا شأن له معك. ما بالك. لا حق له عليك، أليس كذلك؟»

وخلال عرض الازياء فوجئت لورا مرّات عديدة بالمرأة المكسيكية التي ترافقه وهي تعرب له عن إعجابها ببعض أزياء البحر، لكنه كان يرد عليها بهزّ رأسه بنفاد صبر.

قالت ماريللا:

«آه، مسكينة سينيورا راميريز برغم شبابها، لاقت الكثير من العذاب!»

أجابت لورا في اقتناع وهي تتذكر نظرة الرجل المكسيكي الملّحة:

«إني أصدّق ما تقولينه».

بعدما ابتعدت ماريللا، اقترب نائب رئيس الفندق من لورا وسألها ما إذا كان الموظفون مستعدين للبدء بتحضير القاعة للحفلة الراقصة. وبعدما وافقت لورا على ذلك، راحت تدقّق بسرعة بالفساتين وأزياء السباحة الموضوعة في الخزائن. ثم غادرت الغرفة متوجهة الى القاعة الكبرى التي تطل بابوابها العريضة الزجاجية على بهو شاسع.

الاشجار والشجيرات المزروعة في احواض كبيرة تضفي على المكان جوّ المشاتل. ومن بين المشاتل الزنبقية لمحت لورا الرجل الذي أربك منذ لحظات، عارضة الازياء المكسيكية ماريللا.

«آنسة ترانت، هل في إمكاني أن أحدثك قليلاً؟»

كانت لغته الانكليزية كاملة. لا شك في أنه تعلّم في أحسن المعاهد الاوروبية أو الأميركية. بالنسبة إلى السياح الذين يهملون أناقتهم، كان يرتدي بذلة بيضاء وربطة عنق مضلعة تظهر أناقته الفاحشة.

كان طويل القامة، أطول ممّا كانت تتصوّره عندما كان جالساً. ولورا هي أيضاً ممشوقة القامة، ومع ذلك فكان عليها أن ترفع رأسها حتى تراه. وعن قرب تبين لها أن عينيه السوداوين هما في الحقيقة بلون

المخمل البني الغامق.

أجابته ببرود:

«لا أرى مبرراً لأي حديث، يا سينيور راميريز، إلاّ إذا كنت ترغب في الاعتذار لازعاجك إحدى عارضات الأزياء، خلال العرض».

أجاب ببعض السخرية:

«لا، لم تكن هذه نيتي، يا آنسة».

«إذاً لا يوجد مبرر لتبادل الاحاديث بيننا، سينيور راميريز...»

كانت لورا تهمّ بمتابعة سيرها، لكنه تمسّك بذراعها في سطوة وقال مبتسماً:

«أرى انك تعرفين هويتي، يا آنسة. هذا يتيح لي المجال أن أعبر لك عن نواياي، على ما أظن».

قالت في توتر وهي تتخلّص من قبضته:

«نواياك؟ لا أعتقد أنّ ما عندك يهمني حقاً».

«اذاً أنت تعتقدين أنّ دعوة الى العشاء هي نوع من الاقتراح».

«دعوة الى العشاء؟»

قال وهو يسخر بلطف:

«حتى ملكات الجمال بحاجة الى تناول بعض الأكل. ما هو الغلط برغبتي في تناول العشاء برفقتك؟»

«إنك تهينني، يا سينيور!»

«انا أهينك، يا آنسة؟ لا أفهم... كيف يمكن لأمرأة جميلة أن تشعر بالاهانة إذا دعاها رجل أنيق إلى العشاء؟»

ابتعدت لورا بسرعة بعدما رمقته بنظرات غاضبة وقالت:

«لماذا لا تسأل السينيورا راميريز؟»

توجّهت الى المحل غاضبة. كيف يمكن لهذا الرجل، المتزوّج، أن يتجرأ على اعتبار أن كل النساء طرائد يسهل الحصول عليها!

ولم يتغيّر رأي لورا في السينيور دييغو راميريز عندما جاء في اليوم التالي لحضور العرض الثاني والأخير لأزياء الصيف. وفي هذه المرّة كان وحده. واعتذرت ماريللا عن العمل بحجة أنها مريضة. وبما أن لورا تتمتّع بالمقاييس نفسها، فقد حلّت محلها بلا استعداد، واعطت الميكروفون الى إيلينا.

ارتدت لورا بذلة السباحة المصنوعة من قماش القطن الأسود وفوقها سترة طويلة مقلّمة سوداء وبيضاء، من قماش الحرير الشفاف، تغلّف جسمها النحيف. وأظهر الجمهور اعجابه بالبذلة وراحت النساء تصفقن بحماس بينما الرجال يمسحون جباههم المتصببة عرقاً. إنّ مهنتها جعلتها تعرف كيف تجابه نظرات الاعجاب في عيون المشاهدين، لكن لورا كادت ترتبك، كما سبق لماريللا أن فعلت، عندما لمحت عيني السينيور دييغو راميريز تشعّان غضباً واحتقاراً.

قالت إيلينا وهي ترمق لورا بنظرة ساخرة وهي توضّب الثياب بعد العرض:

«من الغريب أن يحضر السينيور راميريز حفلة العرض من دون أن تكون السينيورا معه. ألا تعتقدين أنّ هناك سبباً آخر دعاه الى المجيء؟»

أجابت لورا بجفاف:

«مهما كان السبب، فهذا لا يعني لي شيئاً».

لكن، عندما رأت نظرات إيلينا المذهولة، أضافت بلطف:

«في بلادي، يا إيلينا، الرجال متحفظون في طريقة التعبير عن اعجابهم بالنساء، وخاصة متى كانوا متزوجين!».

فقالت إيلينا بذهول:

«لكن السينيور راميريز هو ...»

فقاطعتها مرتا سكرتيرة المحل حين قالت للآنسة ترانت:

«المعذرة، آنسة ترانت. مطلوبة على الهاتف. مكالمة من لوس انجلوس».

«شكراً، مرتا. إني آتية للحال».

وبتصميم طردت دييغو راميريز من أفكارها وأسرعت الى المحل. لا شك أنّ المتصل هو تيم كالدير، المسؤول عن دار الازياء مارينا في لوس انجلوس، ويريد أن يعرف ما هي ردّة فعل الجمهور على أزياء الصيف الجديدة. فالدار تفتتح في الأكابولكو فرعها الأول. ولكن، كل ما كانت تنوي أن تسرده عن هذا الانتصار الذي حققته الدار امحى عن شفتيها عندما عرفت صوت الرجل الذي يكلمها.

«آه، برانت! كنت أتصوّر أن المتصل هو تيم كالدير ويريد الاخبار الاخيرة حول المعرض».

فأجاب برانت بسخرية:

«هل أنت آسفة لسماع صوت خطيبك؟»

تذكّرت لورا في الحال صورة رجل جميل جذّاب وبشوش وأجابت وهي ما زالت تلهث:

«كلا. بالطبع. في الواقع، إني... إني افضل لو كنت هنا، معي!».

ضحك ثم قال:

«أحب ما تقولينه. يسرّني أن أكون قادراً على الطيران إليك، لكن قضية مرسون باتت ذات اهمية أكبر ممّا كنت أتصورّه ومعقدة أكثر أيضاً».

برانت محام طموح وهو يعمل في قضية ذات أهمية، من شأنها أن تحقق له الشهرة التي يطمح إليها.

ولورا، التي كانت تفضل أن تسمعه يهمس لها بكلمات حنونة، اضطرّت الى سماعه يشرح لها بالتفصيل موقفه أمام المحكمة. وسرعان ما خفّ انتباهها. لماذا لا تكفّ عن التفكير بهذا المكسيكي الغاضب الذي كان يبدو قادراً على اعتلاء المنصة وانتشالها من بين العارضات الى مكان ما في اعماق الغابة؟ لا شك في أنّ أسلافه الغزاة كانوا يتصرّفون هكذا. لو أنّ هذا السينيور دييغو راميريز هو المتصل بها، هل كان يزعجها بالتفاصيل القضائية التي لا تفهمها، او يهمس لها بكلمات الحب في صوت مرتجف؟

وفجأة قالت لورا عندما استعادت وعيها:

«ماذا... ماذا قلت؟»

هل طرح برانت عليها سؤالاً... نعم، لكن ماذا؟

أجاب مازحاً:

«لم تصغي الى كلمة واحدة مما قلته».

«بلى، بلى. لكن... أنا أيضاً مرهقة في عملي و... أعتقد أنّ الحرارة تزعجني».

«هنا، المطر يتساقط منذ ثلاثة ايام. إذاً لا تتذمري من الحرّ».

وفي كآبة مريرة حدّقت لورا في الملف الجديد الموضوع أمامها على المكتب. لم يسألها أي شيء عن أعمالها. فقط «لا تتذمري من الحرّ!...»

«لورا!»

تنهدت وأجابت:

«نعم».

«ألست واقعة في غرام مكسيكي ذي عينين متقدتين؟»

أجابت وقد أغضبتها وقاحته:

«في الحقيقة، حتى الآن، لم يتقدّم سوى رجل واحد. إنه جميل المظهر، غني، ودعاني الى تناول طعام العشاء معه مساء امس».

فسألها بسرعة:

«وهل لبّيت دعوته؟»

أخيراً بدأ يهتم بها...

«لا. إني خطيبتك، يا برانت، إذا كنت ما تزال تتذكر ذلك جيداً».

«لا أسمح لك أن تنسي ذلك!»

«لا تخف. لا خطر من هذه الناحية. لكن، يا برانت، متى سنحدّد موعد زواجنا؟ لماذا الانتظار؟ يمكنني أن أظلّ أعمل بعد الزواج، و...»

«إنّ زوجتي تبقى في المنزل وتهتم بزوجها وبأولادها. لكن لن نناقش هذا الموضوع الآن، على الهاتف. إنّ هذه المكالمة تكلفني كثيراً. أريد فقط أن أشرح لك لماذا لم يتسن لي الوقت كي اكتب إليك. فأنا أعمل ليل نهار في هذه القضية. متى تعتقدين أنك ستعودين؟»

«لا أعرف بعد».

انخفض صوته وقال:

«أنا مشتاق إليك كثيراً، يا حبيبتي».

وبعدما وضعت لورا السماعة، ظلت جالسة مطولاً أمام المكتب، منغمسة في أفكارها. أطلقت زفرة عميقة ثم نهضت وخرجت من المحل الفارغ واقفلت الباب وراءها.

الشقة الصغيرة المريحة التي تسكن فيها لورا خلال إقامتها في أكابولكو تقع في الطابق الرابع من فندق بانوراما، حيث يقع المحل الجديد أيضاً. تطل الشقة على خليج صغير. ولا مرّة سئمت لورا هذا المنظر المطل على البحر الذي يبدو في النهار وكأنه يعكس بريق الحجارة النادرة، وفي الليل تحت سماء مخملية حافلة بالنجوم.

ومن الشرفة كانت تشاهد الرياضيين يمارسون هواية الهبوط بالمظلات فوق المياه الزرقاء. وفي الليل كانت تصغي الى الموسيقى التي يعزفها المكسيكيون على القيثارة والتي يتخللها رقصة الفولادور حيث الرجال يتعلّقون بالحبال على عمود متين موضوع في وسط القاعة ويحومون حوله في دوائر تعلو مع ايقاع الموسيقى الصاخبة. ومن وقت الى وقت يعلو تصفيق حماسي من القاعة اعجاباً وتشجيعاً.

وبلا وعي عمدت لورا الى اغلاق باب الشرفة والنافذة، فصوت الابواق بدأ يزعجها. لماذا هذه الموسيقى الشعبية البدائية تخلق فيها الشعور بالوحدة الكئيبة؟ ولماذا تذكرها خاصة بالسينيور دييغو راميريز، هذا المكسيكي المتعجرف الواثق من نفسه؟

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على محتوى برادها في المطبخ الصغير،

قررت لورا أن تتوجه الى مطعم الفندق لتتناول طعام العشاء. فأخذت حماماً سريعاً ثم ارتدت فستاناً طويلاً معرّقاً بالاخضر الذي يشبه لون عينيها. ثم وضعت القليل من مساحيق الزينة على وجهها: الكحل الاخضر على الجفن، واحمر الشفاه بلون المرجان، ومسحة بودرة على أنفها الصغير وجبينها الناعم.

ولمّا ظهرت في بهو المطعم، راح بعض السياح يصفرون. وشقت لورا طريقاً وسط هؤلاء السياح عندما شعرت بيد قاسية تتأبط ذراعها وصوت عرفته في الحال يهمس في أذنيها.

«كنت في انتظارك. أتريدين تناول العشاء هنا، أو تفضلين مكاناً حمياً؟»

وبينما هو يتكلّم، أبعدها عن المعجبين فقالت بصوت بارد وهي تتخلّص من قبضته:

«لا تقلق عليّ، سينيور راميريز. إني قادرة على أن أتولى أموري بنفسي».

«هل أنت على موعد مع أحد ما؟»

بدأت لورا تتكلم وهي تخفض رموشها الطويلة:

«كلا، كنت... كنت أتوجّه الى فندق المطعم لتناول العشاء. فالجميع تعوّدوا رؤيتي وحيدة».

قدّم لها ذراعه في لياقة تامة، مما جعلها تتأبطه بعد لحظة تردد.

استقبلها مدير التشريفات في الفندق وقال بعدما عرف باستغراب رفيقة السينيور:

«آه سينيوريتا ترانت!»

ثم أضاف باحترام كبير:

«مساء الخير، سينيور راميريز!»

«كيف حالك، يا توماس؟»

«حسناً. شكراً. سأقدّم لكما طاولة جيدة».

قال السينيور وعلى وجهه امارات الاسف:

«لا يمكنني أن أتناول طعام العشاء مع السينيورا هذا المساء. إني مدعو ولا يمكنني أن أرفض هذه الدعوة بالذات».

أجابت لورا في مرح:

«لا داعي للاعتذار، سينيور راميريز. أريد تناول العشاء وحيدة».

بريق غريب ظهر في الوجه الاسمر. والتفت دييغو راميريز نحو مدير التشريفات وتحدث معه باللغة الاسبانية. وأدركت لورا أنها فهمت انه يتكلّم عن السينيورا راميريز وعيد ميلادها.

وبعدما اجلسها أمام طاولة تطل على منظر رائع، على الخليج المضاء، شرح لها توماس أنّ هذا العيد سيتم الاحتفال به في غرفة الطعام التابعة للفندق.

فقالت لتوماس الذي بدا عليه الانهاك والعجلة:

«كنت أفضل أن أجلس امام طاولتي العادية».

أجابها من دون إخفاء شعوره الفضولي:

«إن السينيور راميريز يصرّ على أن أخصص لك هذه المائدة، من ألان فصاعداً. لا شك أنه سوف يتناول معك العشاء، في معظم الأوقات؟»

فردّت لورا في لهجة لا يمكن مناقشتها:

«طبعاً لا؟ هل بإمكاني الحصول على قائمة الطعام، من فضلك؟»

كلّمته في هدوء تام، لكنها كانت تغلي في الداخل. وبينما كانت ترمق مدير التشريفات بنظرة عندما كان يعطي أوامره الى الخادم، فهمت من دون صعوبة ماذا كان يقول:

«ان السينيورا الجالسة وراء الطاولة الرقم ١٤ هي الرفيقة الجديدة للسينيور راميريز اهتم بها جيداً».

كانت لورا تودّ من كل قلبها أن ترفض العشاء وتعود الى شقتها، لكنها كانت تخشى إثارة مشاكل جديدة، فاكتفت بأن تختار الوجبة البسيطة. لكنها صرخت عندما رأت الخادم يجلب لها المشروب المثلج في زجاجة على رأسها وردة حمراء:

«لكن لم أطلب ذلك المشروب!»

«إنها أوامر السينيور راميريز».

«لا أريد أن أشرب شيئاً. اعدها من فضلك!»

كانت طاولة السينيور راميريز التي تحتل وسط غرفة الطعام تضم أفراد المجتمع المكسيكي الرفيع. وكان يترأس الطاولة دييغو راميريز وزوجته التي كانت تشع جمالاً في فستانها المطرز المصنوع من القطن الأبيض وكانت تبدو سعيدة لأن تكون هدف نظرات الاعجاب كلها.

وعندما رفع دييغو كأسه ليشرب في صحة السينيورا وهو ينظر اليها في حنان، وضعت لورا منشفتها وخرجت بسرعة من المطعم.

كيف يمكن لرجل يحب زوجته الى هذه الدرجة أن يمهّد لأقامة علاقة مع امرأة أخرى. ليس في الكون رجل يشبه الرجل اللاتيني الذي يفرض على زوجته القيود، ويطلق لنفسه العنان في إقامة أية علاقة يريد مع النساء!

٢ ـ كذبة بيضاء... اسودّت

مرّ اسبوع بكامله،لم تتبادل لورا خلاله الحديث مع دييغوراميريز. ومع ذلك، فقد ظلت تعي وجوده في قربها.وعندما كانت تهتم بزبائنها، غالبا ما كانت تلاحظ شبح السينيور المشوق يقف أمام الواجهة. وكلما ذهبت لتبتاع لنفسها شيئاً من المحلات، تراه هناك، على بعد أمتار قليلة منها. حتى في الكنيسة حيث كانت تذهب من وقت الى آخر لتبحث عن الهدوء والصفاء اللذين شعرت بهما خلال السنوات التي عاشتها في دير الراهبات في لوس انجلوس، حيث أمضت كل سنواتها الدراسية، كانت تلمحه من بعيد مستنداً الى أحد عواميد البناء.

وكلما رأته تشعر بتوتر مفاجىء، الى درجة أنها بدأت تبحث عنه بنظراتها في أي مكان كانت تذهب اليه. وإذا لم تره صدفة، كانت تشعر بقلق غريب، كالاحساس بالفراغ.

«يا لحماقتها!» كانت توبّخ نفسها وهي ممدّدة على الشاطىء الرملي المحرق، أمام الفندق. لن تذهب بعيداً الى الشعور بالقلق تجاه الاهتمام الودي الذي يظهره لها لاتيني يكرس حياته لامرأة أخرى ومرتبط بها

وهي زوجته.تربيتها الصارمة تفرض عليها الابتعاد عن رجل متزوج، مهما كان جذابا وانيقاً وصاحب نفوذ. والسينيور ديبغو راميريز هو كذلك حقاً! إنّ رؤيته وحدها تكفي لأثارة لورا وتشويش أفكارها.

على بعد منها ، على الشاطىء، كان يجلس شاب مكسيكي، يرتدي زي السباحة يظهر اسمرار جسمه النحيف، قد نجح في جذب سائحة أمريكية في سن متقدمة... وهي من تلك النساء الوحيدات، الثريات، اللواتي جئن الى الريفيرا المكسيكية للبحث عن اللهو وكسر روتين حياتهن الرزينة. ومنذ أن وصلت لورا الى الأكابولكو وهي ترى مثل هذا المشهد يتكرّر يومياً، مما يزعجها ويجرح إحساسها التقليدي.

الشمس القوية أرغمتها على إغماض عينيها. فهي لا تخاف هؤلاء الرجال. إنهم يعرفون أنها ليست غنية ولا تبحث عن مغامرة عاطفية، لذلك لا يضيّعون وقتهم في ملاحقتها بحضورهم المتواصل.

ووراء جفنيها المغمضين، شعرت بظلّ ينعكس على وجهها. فتحت عينيها قليلا، وفوجئت بنظرات ديبغو راميريز الحارة تحدّق فيها. كان يرتدي زي سباحة أبيض. ولثوان عديدة تبادلا النظرات، كأنهما يلتقيان للمرة الاولى.

قالت لورا بعد جهد:

«ماذا تفعل هنا؟»

«إني هنا مثلما أنت هنا، للسبب نفسه... كي أستحم. هذا مسموح، أليس كذلك؟»

همست لورا بسخرية وهي تجلس:

«لا تريد إقناعي بأنك لا تملك شاطئاً خاصاً بك».

جلس ديبغو قرب لورا التي تناولت نظارتيها من حقيبة يدها ووضعتها على عينيها بسرعة.

«ليس في المكسيك شواطىء خاصة. إني أملك فيللا في الجنوب على بعد بضعة كيلومترات من هنا. ولحسن الحظ أنّ السياح يفضلون أكابولكو ولا يذهبون بعيداً حتى هناك».

قالت لورا بسخرية وهي تدع الرمل ينزلق بين أصابعها:

«ما أروع ان يملك المرء مالاً كثيراً يتيح له أن يتمتع بحياته الخاصة».

فأجاب معترفاً:

«هذه حسنات المال، لكن ينبغي ألاّ تنسي ما يفرضه من أعباء ومسؤوليات».

تردّد عندما لفظ الكلمة الأخيرة، فنظرت اليه لورا في حيرة وارتباك. ذكّرتها كلمة المسؤوليات بزوجته التي احتفل بعيد ميلادها بطريقة ودية في الاسبوع الماضي. سألته:

«هل لديك أولاد؟»

«كلا. لسوء الحظ لكن ذلك وارد من ضمن مشاريعي للمستقبل».

وبينما كانت لورا تتأمل السابحين يغطسون في البحر، ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

«اعتقد بأن هدف الرجل اللاتيني، عندما يتزوج، هو أن يظهر رجولته ويفرض على زوجته أن تنجب له ولداً بعد أقل من سنة».

سكتت لحظة وتساءلت في نفسها: هل هو حقاً الحديث الذي يجب أن أتبادله مع انسان مجهول؟

قال في مرح وهو يحدّق في عينيها:

«لا تنسي يا عزيزتي أنّ النساء اللاتينات لا يعترضن على ذلك».

ثم سألها فجأة:

«هل لديك صديق؟»

«ماذا تعني؟»

«غريب حقاً أن تجلس امرأة جميلة على شاطىء البحر بدون شخص يحميها من نظرات الرجال الذين يبحثون عن طريدة جميلة مثلك».

وبحركة من يده أشار ليس فقط الى الرجال المكسيكيين، بل الى السيّاح الأميركيين الذين لم يكفّوا منذ أن وصلت الى الشاطىء، عن التحديق فيها.

قالت:

«سبق لي وقلت إنني في سن ناضجة تسمح لي بالاتكال على نفسي. أما الجواب عن سؤالك فهو نعم. لدي صديق وهو خطيبي، لكنّه حالياً في لوس انجلوس».

أطلق صفيراً مصحوباً بالدهشة، فقالت لورا لنفسها في غيظ: كل الرجال وقحون. لا يتورعون عن سجن زوجاتهم، ويعتبرون اخلاص المرأة للزوج او الخطيب شتيمة أو عاراً.

قال في سخرية:

«لكنك لا تضعين خاتم الخطبة».

«إنني أضعه باستمرار، لكنني خلعته لأنني أخاف أن يسقط مني في الماء أو في ...».

«وأظن أنك تخشين أيضاً أن تفقديه خلال العمل».

رمقته لورا بنظرة ساخطة وقالت:

«أثناء عرض الازياء، لا تضع العارضة سوى المجوهرات التابعة للمؤسسة التي تعمل فيها. والآن يا سينيور، أرجو أن تعذرني لأنني مضطرة الى الذهاب لأدعك تستمتع بالسباحة».

قال ويهزّ كتفيه:

«هذا غير مهم في الوقت الحاضر».

نهض وأصرّ على أن يرافقها الى الفندق. وبرغم انزعاجها فانها لم تستطع أن تتجاهل نظرات النساء، تلاحق السينيور في تحركاته.

فتح باب الفندق وابتعد عنه ليدعها تدخل الى البهو المكيف وتبعها حتى المصعد. سألها في لا مبالاة وهو يتكىء الى الحائط:

«هل تحبين أن تتناولي طعام العشاء معي مساء اليوم. إن أكابولكو ليست المكان المناسب لأمرأة وحيدة».

«أفضّل أن أتناول طعام العشاء وحدي، على أن أكون مع رجل معروف جداً، فضلاً عن انه متزوج».

صمتت لحظة ثم قالت وهي تشير في اتجاه الباب الزجاجي الذي يطل على الخليج:

«على الشاطىء عدد كبير من النساء اللواتي يسرهن قبول دعوتك الى العشاء».

تنهّد وهو يبتسم وقال:

«أعرف ذلك جيداً، لكنني أحب أن ألعب دور الصياد، لا دور الطريدة».

ارتعشت لورا بالرغم منها. ليس من الصعب تصوّر هذا النوع من الرجال، وهم يلاحقون الطريدة ويتمسّكون بها الى أن تستسلم.

قالت:

«لا أرى مانعاً بأن تلعب دور الصياد، شرط ألاّ أكون من بين الطرائد».

قال وهو يتبعها بنظراته، وهي تدخل الى المصعد:

«إنك تطلبين مني الكثير يا لورا. الى اللقاء».

على مدى اسبوع اختفى السينيور دييغو راميريز من أكابولكو. وقد حاولت لورا اقناع نفسها بأنها تشعر بارتياح بغيابه، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، فقد شعرت بشوق كبير اليه.

نادتها سكرتيرة المحل للرد على الهاتف. وعندما تعرفت الى صوت دييغو قالت له في جفاء:

«هل تتكرّم بألاّ تضايقني بعد الآن؟ اذا كنت مصراً على إزعاجي، فسأضطر الى الاستعانة بحارس خاص».

لكن هذا التهديد لم يؤثر فيه فقال وهو يطلق ضحكة صغيرة:

«استغرب كيف أن امرأة في مثل جمالك البارد تتصرّف بهذا الغليان والتوتر! لا أنوي ازعاجك. أريد فقط أن أجدد لك دعوتي الى العشاء».

«هذا ما اعتبره ازعاجا للناس، يا سينيور! كم مرة ينبغي أن أقول ان دعوتك هذه لا تهمني ابداً؟»

«لورا، بامكانك أن تؤدي لي خدمة كبيرة. علي أن أستقبل رجل أعمال وزوجته وهو مثلك أمريكي الجنسية، وأفضل ألاّ أكون وحيداً من دون رفيقة».

«هذا مستحيل، يا سينيور، لأنني سأتعشى مع خطيبي».

ران صمت قصير قطعه السينيور قائلاً في جفاء:

«فهمت. ينبغي أن أبحث عن رفيقة أخرى».

قالت في لهجة ثابتة قبل أن تضع سماعة الهاتف بخشونة:

«سبق وقلت لك، إنك لن تجد صعوبة في العثور على رفيقة».

وبعد انتهاء المحادثة بقيت لورا تحدّق في الهاتف في امعان وهي تعض على شفتيها بتوتر. إن دييغو راميريز هو الذي سبّب كل هذا التوتر. فهي لا تحب الكذب. كما أنها ستكون وحيدة، هذه الليلة، كالعادة. بينما لو كانت برفقته لأمضت سهرة ممتعة. ليست في حاجة الى مخيلة واسعة لتدرك أنه فارس الأحلام الذي تتمنّى كل امرأة أن تكون رفيقة سهراته.

ولمّا دخلت الى شقتها، سمعت رنين الهاتف. فتساءلت:

«يا إلهي، ربما هذا دييغو راميريز الذي اكتشف أن خطيبها على بعد ألف ميل من هنا .لكنها عندما عرفت الصوت نسيت في الحال الرجلين وصرخت:

«أبي! أين أنت؟»

ضحك دان ترانت وقال:

«إني هنا، في أكابولكو. رجلان استأجرا سفينتي في لوس انجلوس وفكّرت بأنها الفرصة المناسبة لأن أقوم بزيارة قصيرة الى ابنتي الوحيدة».

«وكم من الوقت ستبقى هنا؟»

«آه، أيام قليلة فقط هذان الرجلان يصران على أن أنقلهما الى مكسيكو في أسرع وقت ممكن. من الأفضل لهما أن يأخذا الطائرة الى مكسيكو. لكنّهما يحبان ممارسة هوايتهما المفضّلة وهي صيد الأسماك، مع أنهما لا يعرفان تماماً كيف يحملان قصبة الصيد».

«هذا لا يهم. متى أراك؟ إني في شوق اليك».

«سأقوم ببعض المشتريات للسفينة... أيناسبك أن ألتقيك في الفندق بعد ذلك؟ يجب الاحتفال بهذا اللقاء كما ينبغي، يا صغيرتي. وأنت اختاري كيف تريدين أن يكون الاحتفال. لا شك أنك تعرفين المطاعم المشهورة، أليس كذلك؟»

أجابت لورا بفرح:

«يمكننا الذهاب الى الميرادور، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نحضر مشهد الغطس. إنه مشهد لا يمكن تفويته».

«كما تشائين. هل في إمكانك الاهتمام بحجز مكانين؟»

«نعم.»

بعد أن أقفلت لورا سماعة الهاتف، طلبت رقم المطعم وحجزت طاولة للساعة الثامنة والنصف. هكذا سيكون أمامها الوقت الكافي لتناول العشاء بهدوء قبل حضور مشهد القفز والغطس من أعلى الشرفات التي تطل على الشاطىء الصغير.

وبعد أن أخذت حماماً سريعاً ارتدت فستاناً أسود يتلاءم مع شعرها الاشقر بشكل بارز.

بعد وفاة زوجته، تخلىّ دان ترانت عن كل شيء: عمله في السمسرة البحرية، ومنزله وحتى ابنته. اذ بعد شهرين من وفاة والدتها دخلت لورا دير الراهبات، واشترى والدها يختاً. وعندما كان يشعر بحاجة الى المال كان يؤجر اليخت ويقترح على المستأجرين خدماته كقبطان السفينة.

وفي مخيلة لورا ذكريات ساحرة عن العطلات التي كانت

تمضيها على متن سفينة والدها التي دعاها بربارا على اسم والدتها. كان ذلك ممتعاً لها ولو لأسابيع قليلة، لتتخلص من أجواء الدير المملة والكئيبة.

طرقات متواصلة على الباب جعلتها تدرك أن الطارق هو والدها الذي كثيراً ما أخرجها من أحلام المراهقة العاطفية بالطرطقة على الباب كأنه يدق على الطبل.

صرخت لورا وهي تبكي وتضحك في آن واحد معاً بينما كان والدها يعانقها بحنان في ذراعيه القويتين:

«أبي! آه، كم أنا سعيدة لرؤيتك!»

لم يتسن لها الوقت لتعاين وجه والدها إلاّ بعدما جلسا مواجهة وراء طاولة المطعم. ما يزال يتمتع بالنظرات الزرقاء نفسها، لكن تجاعيد وجهه بدأت بالظهور، وشعره البني الكثيف بدأت تتخلّله بعض الخصل الرمادية وخاصة حول الاذن. لكنه ما زال رجلاً بمظهر حسن وجذاب. وبينما كانت لورا تراقب نظرات بعض النساء المركّزة على والدها، تسألت لماذا لم يتزوج دان مرة ثانية.

نساء كثيرات كانت تحمن حوله وخاصة الجميلات منهن. لكن ولا واحدة كانت تتمتع بأناقة والدتها وجاذبيتها وشعرها الأشقر كسنابل القمح. ولا واحدة كانت قادرة على أن تحلّ مكانها.

قال دان ترانت وهو يبتسم:

«لا تلتفتي الى الوراء، يا صغيرتي. هناك رجل وراء الطاولة البعيدة يرمقني بنظرات غاضبة. يبدو حتماً أنه مكسيكي. هل تعرفين أحداً هنا؟»

ومن دون أن تلتفت أدركت لورا أن الرجل الذي يحدّق في والدها ليس سوى السينيور ديغو راميرز. لماذا يظهر هذا الشيطان في أي مكان تذهب اليه، وخصوصاً هذا المساء بالذات، اذ من المفروض أنها تتناول العشاء مع خطيبها!

أجابت في جفاف:

«إني اعرفه من بعيد. إنه واحد من الذين يعتبرون أنّ كل شيء مسموح. لقد دعاني مرّات عديدة الى العشاء من دون علم زوجته بالطبع».

صرخ دان مستغرباً:

«هل هو متزوج؟ وهذه المرأة السمراء الجميلة التي معه، هل هي زوجته؟ لكن لماذا ينظر اليّ هكذا؟»

هزّت لورا كتفيها:

«تجاهله، أرجوك. هؤلاء المكسيكيون يتصرّفون بوقاحة لا مثيل لها».

«إذا حاول أن يعامل ابنتي بهذه الطريقة، بهذه الجرأة الفظة...»

قاطعته لورا قائلة:

«إني أعرف تماماً كيف أتصرّف. لا تقلق عليّ. ولا تنسى أني مخطوبة».

قال وهو ينظر الى خاتم الخطبة في يد ابنته:

«نعم. صحيح. إني لا أنسى».

في لقائهما الأول ظهر بوضوح أن دان وبرانت لم يستلطفا بعضهما البعض.

فالمحامي الشاب لم يكن راضياً على طريقة حياة دان البوهيمية، هو الذي يعيش حياة منظمة. ولاحظ دان هذا الشعور وحزن على ابنته. لكنه مع ذلك كان يحترم اختيارها.

قالت لورا وهي تنحني نحو والدها:

«سأغيب لحظة صغيرة. وبعد أن أعود نبحث عن زاوية تطلّ على الخليج حتى نتمكن من مشاهدة الغطاسين جيداً».

قال وهو يبتسم بحنان:

«كما تشائين، يا صغيرتي».

فكّرت لورا وهي تمر بين الطاولات كيف أنّ والدها ما زال جذّاباً وأسفت لأنه لم يتزوج بعد وفاة والدتها. الحياة الروتينية التي يعيشها لا شك أنها تزعجه، فهو يستحق حياة أفضل.

وبعدما خرجت من الحمّام أسرعت تغسل يدها وتضع على وجهها بعض الزينة والعطور. ثم خرجت الى البهو خافضة الرأس وهي تحاول اغلاق حقيبة يدها. لم تر الشبح الذي يرتدي البذلة السوداء يظهر من وراء شتلة ضخمة ويجابهها بعنف.

صرخت مستغربة بعدما شاهدت نظرات ديغو راميرز الشرسة:

«أنت! من أين أتيت؟»

أجابها في غيظ لم يعرف أن يكبته جيداً:

«كنت أراقبك. لدي ما أقوله لك».

«صحيح! وماذا تريد أن تقول؟ اختصر كلامك. لا أنوي أن أدع رفيقي ينتظر».

فقال في حدة متجاهلاً نظرات الفضول التي رمقها بها الحضور:

«أريد أن أكلمك عنه! إنه يكبرك سناً في شكل ظاهر».

«من يكبرني سناً؟ هل تقصد...؟»

أجاب في شراسة:

«خطيبك طبعاً. لا شك أنه في سن والدك!»

كبتت لورا قدر الامكان رغبتها الملحّة في الضحك. ديبغو يعتبر والدها خطيبها. اذاً هو السبب الذي من أجله كان يرمق والدها بنظرات غاضبة.

بدأت تقول بصوت متردّد:

«لكنه،و...»

ثم توقّفت لحظة مدركة أن كذبتها انفضحت. ثم تابعت تقول:

«إن له قلب شاب».

قال ديبغو راميريز في حقد:

«صحيح! إنه يكبرك في السن سنوات عديدة، فكيف ترتبطين به مدى الحياة؟»

وبعدما ألقى نظرة خاطفة الى السيّاح الذاهبين والآتين داخل البهو، أمسكها من معصمها وجذبها وراء مجموعة من المشاتل الضخمة وعاد يقول:

«هل بإمكانه أن يوفّر لك الحب والشوق واللهفة؟ هل سبق أن عانقك؟»

فجأة، جذبها نحوه وشدها الى صدره وراح يعانقها بشغف حتى جعلها تلهث خاضعة وتقول:

«دعني! أرجوك!»

«أدرك تماماً انه لم يسبق له أن عانقك كما يجب!»

فقالت في غضب وهي تتخلّص من قبضته:

«وأنت، يا سينيور، منذ متى لم تعانق زوجتك هكذا».

عندما عادت الى والدها، كان وجهها ما زال مضطرباً وقدماها ترتجفان.

«آه، ها أنت قد عدت! اجلسي واحتسي القهوة. ما زال أمامنا بعض الوقت قبل أن يبدأ مشهد الغطس».

جلست في الكرسي وهي لا تزال متأثرة بالصدمة. وهنا مرّ السينيور في قربها، فخفف من خطواته وحدق فيها ثم تابع طريقه.

نظر دان الى ابنته في حيرة وارتباك، كأنه فهم ما حدث منذ لحظة، على بعد أمتار قليلة منه.

فسألها في قلق:

«أليس هذا الرجل هو المعجب بك؟»

«كيف؟ آه! نعم...»

«لو كان برانت ينظر اليك كما نظر اليك هذا الرجل، لكنت سعيداً جداً».

بعد فترة صمت، أجابت لورا:

«أبي، إن برانت يحبني، وهو ينوي الزواج مني. أليس هذا كافياً؟»

فقال لها وهو يربت على يدها في حنان:

«لكن، يا حبيبتي، يجب ألا تخلطي الأمان والاستقرار بالحب والرغبة. إن برانت شاب لطيف، لن يضرّبك وسيكون زوجاً صالحاً لك، وتتمتعين معه بحياة راغدة، وستسكنين في منزل صغير جميل في الضاحية، وستنجبين ولدين مثل الجميع... لكن... لا أعرف جيداً كيف أشرح لك... لن تعيشي الحياة التي عشتها مع أمك... كنا زوجين مثاليين وفي الوقت نفسه غير عاديين...»

فقالت لورا في صوت مفاجىء، ومبحوح وعيناها تدمعان:

«أعرف ذلك تماماً. أنت وأمي كنتما زوجين رائعين واستثنائيين، ومن النادر اليوم أن نجد مثلكما في هذا العالم. ماذا عليّ أن أفعل؟ يجب أن أقتنع بما عندي... على الأقل...»

«ربما أنت على حق... هيّا بنا نتفرج على الغطس».

تبعت لورا والدها خارج غرفة الطعام. غير أنها لم تستطع أن تقاوم رغبتها في إلقاء نظرة خاطفة على مائدة دييغو راميريز. كان معه الزوجان الأميركيان اللذان حدثها عنهما، وامرأة شابة سمراء رائعة الجمال. ابتسمت لها المرأة. لم يجد دييغو صعوبة في إيجاد رفيقة له. وفي حركة آلية رفعت لورا يدها لتلمس شعرها وشاهدت دييغو يحدق في خاتم الخطبة الذي يلمع في اصبعها.

أسرعت باللحاق بوالدها الذي ابتسم لها بحرارة وأدخل الى قلبها العزاء والمؤاساة.

استرعى انتباهها الشاطىء الصخري الذي بدأ يشع تدريجيا بالاضواء المختلفة الالوان. شاهدت لورا رجلا مستعداً للقفز، بشرته تلمع تحت تأثير الاضاءة الكثيفة. كان يقف على نتوء صخري، من علو شاهق. أحنى رأسه وبدا أنه يحدق في إمعان الى المياه التي تغلي من تحته.

سبق للورا أن شاهدت بإعجاب كبير مرات عديدة هذا المنظر الذي يحبس الأنفاس. فأسرعت تشرح لوالدها الوجه التقني للغطس:

«عليهم أن يصمّموا قفزتهم بعناية. في الحالة العادية، لا يتجاوز عمق المياه أكثر من مترين ونصف متر بانتظار أن تأتي موجة قوية ترفع

الماء الى علو أربعة أمتار. وهذا الحد الأدنى المنتظر لتحقيق القفزة».

«أريد أن أصدّق ذلك. من المفروض إذاً أن يستعدّ لوثبة قوية ليتحاشى السقوط على الصخرة».

«طبعاً. آه. انظر! إنه يقفز».

رفع الغطاس ذراعيه، وحبس المتفرجون أنفاسهم وهم يشاهدون هذا الجسم النحيف يستعد للقفز، ويحلّق مكتفاً ذراعيه مثل عصفور متألق، قبل أن يغطس مثل السهم في الماء التي تتصاعد منها الرغوة البيضاء.

التفتت لورا الى والدها الذي كان يمسك بيدها ويبتسم لها في حنان هامساً:

«إن هذا المشهد مثير حقاً».

«انتظر رؤية الذين يقفزون من قمة الصخور، من علو اربعين متراً أوأكثر. لقد شاهدت هذاالمنظر مئات المرّات وما زلت أرتعب كأنها المرّة الأولى».

همس دان وهو يبتسم في وجهها المتألق الذي يذكّره بزوجته الراحلة:

«إنني اتساءل ما إذا كان قلبي يتحمّل هذا النوع من الانفعال».

قالت لورا ضاحكة وهي تتطلع الى العدد الهائل من الناس المحيطين بهما:

«يجب أن تتحمّل ذلك، اذ ليست هناك طريقة نستطيع فيها أن نغادر المكان وسط هذا الحشد».

فجأة ماتت الكلمات على شفتيها، فقد التقت نظراتها بنظرات

راميريز التي كانت تشع بانفعال غريب.

فوجىء دان بسكوت ابنته فتطلّع اليها وقال:

« لورا، ماذا بك».

«نعم؟»

نفضت لورا جفنيها كأنها تستيقظ من حلم، ثم قالت:

«انظر يا أبي، شاب آخر سيقفز الآن».

تطلّع دان نحو قمة الصخرة حيث رأى غطاساً ينتظر في انتباه أن تنفش الأمواج على علو أربعين متراً منه.

الجمهور الذي شاهد هذا الجسم النحيل الأسمر المليء بالحيوية يلتطم بالموجة العالية، بدأ يصرخ بحماس ويطلق زفرات الارتياح.

وتساءلت لورا: ترى بماذا يفكّر الرياضيون لحظة القفز في الفراغ، ربما الى الأبد...

رفعت عينيها الحالمتين، والتقت مرّة أخرى بنظرات دييغو القوية، كأنه لم يحوّل نظره عنها طوال الوقت، قارئاً كل ما يدور في أفكارها.

نهضت لورا تاركة المكان لغيرها من المشاهدين، وبعد لحظات كانت مع والدها قد غادرا فندق الميرادور.

وعندما أوصلها دان الى فندق بانوراما رفض أن يتناول أي شراب وقال مبتسماً:

«الى مساء غد، يا صغيرتي. هل تتناولين العشاء معي على متن السفينة؟»

«بكل سرور».

«أخشى ألاّ أكون قادراً على أن أعد لك وليمة في الوقت الحاضر».

ابتسمت لورا وقالت:

«فهمت. سأحضر معي كل ما نحتاج اليه للعشاء. لا تقلق يا أبي، فسأعد لك عشاءً لذيذاً».

«هل يوافقك أن يكون الموعد الساعة السادسة؟»

قالت لورا وهي تقف على رؤوس أصابعها لتقبّل والدها:

«اتفقنا».

وعندما اصبحت في شقتها أخذت تذرع أرض الدار ذهاباً واياباً مئات المرات، مقطبة الجبين، قلبها الحزين عامر بالكآبة والقلق. ماذا جرى بينها وبين والدها؟ خيّل إليها أن أحاديث دان الودية تخفي قلقاً غامضاً...

٣ ـ أمور تحدث سريعاً!

لا شك في أنّ المكسيكيين أسوأ من قاد السيارات في العالم. رددت لورا هذا الكلام وهي تقود السيارة على طول الجادة الجميلة، التي تمتدّ بمحاذاة مجموعة الفنادق الضخمة المطلّة على الخليج. ومرّة، خلال حفلة استقبال حضرتها قال لها رجل أعمال مكسيكي: الرجال هنا جبابرة أقوياء. واضاف:

«في بلادنا، وفي كل المناسبات، على المكسيكي أن يفرض سيطرته. وسواء حاول الحصول على امرأة أو كان يقود سيارته، فانه مضطرّ الى أن يفعل المستحيل ليؤكد سطوته وعلوّ شأنه. وما على المرأة إلاّ أن تطيع».

استعادت هذه الكلمات، وهي تحاول عبثاً أن تغيّر اتجاه سيرها لتستطيع سلوك طريق المرفأ. فجأة توقّف سائق تاكسي ورمقها بنظرة إعجاب، وتخلّى لها عن فسحة استطاعت من خلالها عبور الطريق المطلوب. وبعد دقائق صفّت سيارتها في مرأب نادي اليخوت.

أخرجت من سيارتها كيساً يحتوي على كل ما تحتاجه لأعداد عشاء أميركي يحب والدها أن يتناوله، ثم سارت على رصيف الشاطىء،

إلى حيث يرسو يخت والدها.

صعدت الى سطح اليخت الخلفي فلم تجد أحداً. فنادت وهي تقترب من السلّم الذي يؤدي الى قاعة الجلوس والمطبخ:

«أبي! أبي! إنني هنا».

لا جواب. هبطت لورا بحذر السلم الضيق. المطبخ الصغير كان فارغاً، وكذلك غرفة الجلوس التي تحتوي على طاولة في وسطها، ومقاعد مغلّفة بالنسيج القطني ذي الالوان الذاهية.

اتكأت لورا على أحد الجوانب وغرقت في الذكريات: تعرّفت الى الرائحة العادية الممزوجة برائحة سكائر والدها، وبدأت تنفعل. كم هي نادمة لأنها لم تكن مثله شريدة البحار. غير أنّ دان فضّل العمل بنصائح الراهبات اللواتي أشرن عليه بادخال لورا المدرسة الداخلية إذا أراد أن يضمن مستقبلها.

ترعرعت لورا على أيدي الراهبات اللواتي كرّسن حياتهن للتربية والتعليم. مرّة حدّثتها الأخت كرميليتا، ذات الوجه الملائكي، التي كانت تعلّمها اللغة الاسبانية، عن مستقبلها كامرأة وذلك عندما عبّرت لورا عن رغبتها في دخول سلك الرهبنة. إذ قالت لها الراهبة في لطف وهي تبتسم:

«لا يا لورا. سيدخل حياتك يوماً ما رجل يغمرك بحنانه وتنجبين منه أولاداً تسعدان بهم. أعتقد يا ابنتي أنّ دخولك السلك سيكون غلطة».

سرعان ما نسيت لورا هذه الرغبة، لكن كلمات الاخت كرميليتا ظلّت محفورة في ذهنها. وعندما التقت براين اعتقدت أنه هو رجل حياتها، فهو يتمتّع بمزايا خلقية رفيعة، أهمها أنه لا يحاول

أن يمارس الزواج قبل الأوان، وهذا شيء نادر في هذا العصر حيث لم تعد هناك أية حدود تمنع الرجل والمرأة من الاستمتاع.

تناهت الى سمعها خطوات على متن السفينة، فانتفضت وأسرعت الى تسلّق السلالم:

«أبي، أين كنت؟ أرجو ألاّ تكون قد اشتريت أغراضاً للعشاء لأنني...»

سكتت فجأة وهي ترى شبح دييغو راميريز المشوق والمفرط في الأناقة منتصباً أمامها.

سألته في لهجة باردة:

«ماذا تفعل هنا؟ بدأت اسأم رؤيتك وملاحقتك لي في كل مكان. سيأتي والدي في أية لحظة الآن، لذلك أنصحك بالذهاب».

قال متجاهلاً ملاحظتها:

«أيمكنني الهبوط الى داخل اليخت؟»

«والدي في طريقه إلى هنا، ولن تسرّه رؤيتك على متن سفينته».

لم يأبه لهذا التهديد، بل توجّه في هدوء الى غرفة الجلوس وقال:

«إجلسي، يا لورا. لديّ أمر مهم أريد أن أحدثك فيه».

فقالت في لهجة حاسمة:

«أرجو أن تقول ما عندك بسرعة، أريد إعداد العشاء لوالدي».

هزّ رأسه في تعبير أسف، جعل لورا تشعر بجفاف في حلقها وبقلق غامض. قال وهو يسمّر عينيه في عينيها:

«أخشى ألاّ يتمكن والدك من أن يتناول العشاء معك هذا المساء».

«لماذا؟»

«آسف أن أبلغك أنّ والدك محجوز لدى الشرطة المحلية».

قالت لورا وقلبها ينبض بسرعة:

«الشرطة... إن هذا مستحيل».

«كنت على الشاطىء القريب جداً من هنا. ولاحظت زحمة وهياجاً على السفينة، وعرفت الرجل الذي اصطحبته الشرطة: إنه الرجل ذاته الذي كان يرافقك في مطعم الميرادور... وقد كنت أعتبره خطيبك...»

سألت وهي تنهض غاضبة من دون أن تعي ما قال:

«لكن لماذا أوقفت الشرطة والدي؟ لم يقم بشيء غير قانوني طيلة حياته! لا شك أنّ ذلك خطأ... يجب أن أذهب وأرى ماذا يجري... وسأقول لهم...»

وفي حركة نجح دييغو في تهدئتها.

«ربما، فيما بعد. علمت من الشرطة التي اوقفته أنّ والدك متهم بالتورّط في عملية تهريب مخدرات. وهنا في المكسيك، تعتبر جريمة كبيرة».

ردّدت لورا مذهلة:

«تهريب مخدرات؟ أبي؟ لكن مستحيل، هل سمعت ما أقوله! هذا مستحيل!»

قال دييغو في حزم:

«اجلسي».

هبطت الفتاة في المقعد. أما دييغو فظل مستنداً الى الطاولة.

«يجب أن تدركي جيداً أنّ والدك متهم بجريمة بالغة الاهمية. وحسب الادلة التي اكتشفت على متن الباخرة، فهو معرّض لأن يبقى في السجن طيلة الحياة أو لنقل مدة طويلة قبل افتتاح المحكمة».

همست لورا واضعة رأسها بين يديها:

«محكمة؟ لا. لا يمكنني أن أصدّق شيئاً كهذا».

«لكن هذا هو الواقع. ذهبت الى مركز الشرطة وتوصلت الى التحدث مع والدك. فأخبرني بأن الرجلين اللذين استأجرا منه اليخت عادا في الصباح الباكر وما لبثا أن غادرا، وقالا له إنهما سيعودان في المساء، وكانا على استعداد للابحار فجر الغد».

قالت لورا مستغربة وهي تقفز:

«رجلان، هما إذاً المذنبان. قال لي والدي إنهما استأجرا السفينة وفي نيّتهما الصيد، لكنهما لم يكونا يعرفان شيئاً عن الصيد. سأخبر الشرطة بذلك».

أرادت الاسراع نحو الممر لكن ديبغو أقفل عليها الطريق وقال وهو يمسكها من كتفيها:

«لا تتصرّفي تصرّفاً أحمق! هل تتصوّرين أن الشرطة هنا ستصغي الى ما تقولينه، أنت، ابنته؟»

«لكن، يجب أن أفعل شيئاً ما».

قال لها بلطف:

«لا يمكنك أن تفعلي شيئاً، يا لورا، امام السلطات...»

سألته وقد احتلّتها الكآبة فجأة:

«إلى من سألتجىء إذاً؟ هل في أكابولكو قنصلية للولايات المتحدة؟»

«كلا. القنصلية مركزها في مكسيكو. لكن في مثل هذه القضايا، لا يستطيع القنصل أن يفعل أي شيء».

«يبدو وكأنك وجدت الحل. أرجوك، قل لي ماذا أفعل!»

حدّق في عيني الفتاة الخضراوين ثم أخفض جفنيه وقال في صوت مبحوح:

«لديّ نفوذ في بعض الأوساط».

«يمكنك إذاً أن تفعل شيئاً ما لمساعدة والدي».

وفي هذه اللحظة بالذات رفع رأسه وانتفضت الفتاة أمام حدّة نظراته القاتمة:

«لكن نفوذي يكون له صدى أقوى إذا...»

عمّ صمت طويل راح فيه قلب لورا ينبض بسرعة. وأضاف:

«اذا كنت زوجتي».

كالبلهاء راحت لورا تحدّق فيه وهي تلاحظ برغم الصدمة القوية، وجهه ذا الملامح البارزة ورموش عينيه الطويلة وقساوة فمه وردّدت في صوت خفيض:

«زوجتك؟ لكن ألا تكفيك زوجة واحدة؟»

هزّ رأسه في تلهف:

«أنا لست متزوجاً. والمرأة التي تعتقدين أنها زوجتي، هي في الحقيقة أرملة أخي الصغير، جيم، الذي قتل السنة الماضية في سباق القوارب الآلية».

«لكنني كنت اعتقد...»

توقّفت. كل شيء يغلي في ذهنها.

«نعم. إني أعترف أنني جعلتك تعتقدين أن كونسويلو زوجتي. لم يكن ذلك قصدي في بداية الأمر. لكن عندما وضعت في ذهنك أنّ

المرأة التي ترافقني في حفلة عرض الأزياء هي زوجتي، لم أكن قادراً أن أنكر ذلك. كنت أريد أن أعرف ما إذا كنت قادرة على الصمود مدة طويلة أمام رجل تعتبرينه متزوجاً».

ولان تعبيره بعض الشيء:

«إني أعترف بانك تصرفت بعناد وتصلب».

ما زالت لورا مضطربة لوضع والدها المؤسف، فلم تسجل هذا الاعتراف الجديد.

«لم أفهم بعد. هل كان ذلك امتحاناً؟ أهذا ما تقصده؟»

«نوعاً ما. نعم».

تناول من جيب سرواله علبة السيكار وأخرج سيكاراً صغيراً وأشعله بقداحة ذهبية. خارت قدما لورا وهبطت في المقعد.

قال دييغو وهو ينظر من نافذة اليخت:

«يهمّني جداً، فيما يتعلّق بهذه الأمور، أن تكون زوجتي مترفعة عن أية شبهة».

تأملته لورا لحظة من غير أن تقول كلمة. فهي حزينة لما حصل لوالدها. ثم صرخت وهي تستعيد وعيها:

«لكنك مجنون حقاً! لن استطيع أن أتزوجك. يبدو أنك نسيت أني مخطوبة وأني سأتزوج حين أعود إلى لوس أنجلوس».

سأل دييغو وهو يتفحص وجه لورا الجميل المحمرّ خجلاً:

«هل تحبين ذلك الرجل؟»

أكدت له وهي تقف لتواجهه وعيناها تتوهّجان غضباً:

«طبعاً! ولماذا أتزوجه إذا لم أكن احبه؟»

«ما من أحد يعرف ما الذي يدفع النساء الى الزواج... هل هو المال، أم المركز أم الاستقرار، أم الحب. خطيبك، هل هو غني؟»

«كلا. إنه محام شاب ما زال في بداية الطريق. يمكنك اذاً أن تلغي السببين الاولين».

«إذاً لا شك أنّ السبب الثالث هو الذي ينطبق عليك. الاستقرار... أهذا ما يقدّمه لك؟ منزل في حي جميل، وولد أو ولدان، وسهرة نهاية الاسبوع في النادي».

«وماذا عندك ضدّ هذا النوع من الحياة. في كل حال إنه وضع معظم الناس في بلادنا. ولست أخجل من كوني جزءاً منهم».

ثم اضافت في لهجة ساخرة:

«طبعاً، ليس بإمكان الجميع أن يملكوا منزلاً يقع في محطة الحمامات الاكثر شهرة في العالم، وربما أيضاً قصراً في مكسيكو!»

أخذ دييغو مجة من سيكاره وقال في تمهل:

«ليس في هذا خطأ. في كل حال إنّ المرأة تحب بشغف، الرجل الذي يؤمّن لها كل هذه المتعة. هذا ما يوصلنا الى السبب الرابع، الذي هو...»

قاطعته لورا قائلة:

«لماذا نتجادل في هذه الامور السخيفة بينما أبي يقبع في أحد سجون بلادك التعيسة! سوف أصبح مجنونة مثلك...»

أجابها دييغو:

«إني لست مجنوناً، لكني انتهازي، وأعترف بأن سجوننا ليست كما يجب، وخصوصاً اذا كان السجين متهماً بتهريب المخدرات. لكن يمكنني القول إنّ والدك لا يلقى معاملة سيئة. لقد حاولت اقناعهم بأن

يقدموا له الطعام المعقول وأن يجعلوا زنزانته في وضع مريح ومقبول».

فقالت في صوت مخنوق:

«شكراً. المال يفعل كل شيء، أليس كذلك؟»

«في مثل هذا الوضع، المال وحده لا يكفي...»

تردّد ثانية ثم أضاف:

«ان الموظفين الذين اتصلت بهم من أجل مساعدة والدك عطفوا عليه، ليس من أجل المال، بل بسبب قرابتي لوالدك».

«لقرابتك بوالدي...؟ لكنك لم... لم تقل لهم إن... إن...»

قال لها وهو ينظر اليها في جرأة:

«قلت لهم إنك ستصبحين زوجتي. وإنني لا ارضى أن أرى عمي يلقى معاملة المجرمين».

فهمست لورا وهي شاحبة الوجه:

«كيف تجرأت وقلت ذلك؟»

«هل تعارضين أن ينال والدك معاملة حسنة؟»

أجابت في غضب:

«لا. إنما يزعجني أنك كذبت من أجل ذلك. وماذا أخبرت والدي؟ هل كذبت عليه ايضاً؟»

«الحقيقة. أخبرته عن رغبتي في الزواج منك... وأنّ ذلك سيتمّ أبكر مما كنت أتوقع، نظراً للأوضاع الحالية...»

تقدم دييغو منها خطوة وأخذها من ذراعيها. وقال في صوت خفيض:

«لن أخفي عليك أنني كنت أفضل أن يتسنّى لي الوقت لأن اغازلك،

يا حبيبتي، لكن...»

وبحركة عنيفة تخلّصت من قبضته وقالت بغضب:

«إنني امنعك من أن تناديني هكذا! أنا لست حبيبتك ولن أصبح حبيبتك أبداً».

فقال دييغو وهو يبتعد عنها:

«حسناً».

توّجه نحو السلم ثم التفت ونظر إليها باشمئزاز واستخفاف وقال:

«إذا غيّرت رأيك، يا آنسة، يمكنك أن تتصلي بي في فيللا جاسينتا. إنه اسم منزلي».

ثم أخرج من جيبه دفتراً صغيراً، وكتب بعض الارقام ثم اقتلع الورقة وأعطاها إياها قائلاً:

«إن رقم هاتفي غير موجود في الدليل الهاتفي. فلا تضيعي الرقم. الى اللقاء».

ضغطت لورا على الورقة بين أصابعها الجامدة وهي تنظر إلى دييغو يصعد الى سطح السفينة. وبعد ذهابه شعرت فجأة بضياع وحيرة. عادت الى غرفة الجلوس واسترخت في أحد المقاعد، وعيناها تحدّقان في رقم الهاتف الذي انحفر للحال في ذهنها. لكن لابدّ من إيجاد طريقة لاخراج والدها من السجن من دون الاضطرار الى اللجوء الى الزواج من هذا المكسيكي المتوحش!

«أيمكنني أن أفعل لك شيئاً، يا آنسة؟»

إن مهنة لورا جعلتها تعتاد على سماع كلمات الاعجاب. ومع ذلك فقد انتفضت أمام نظرات الموظف الملحة الذي يحرس باب مركز

الشرطة، وبين شفتيه سيكارة.

«إنني... أريد أن أرى والدي، دانييل ترانت».

سألها الشرطي في فضول وهو يعرّيها بنظرته:

«هل أنت الفتاة الأميركية؟»

فقالت بترفع:

«قل لي فقط أين يمكنني التحدث الى الشرطي المسؤول».

أجابها ببطء وفي لهجة مليئة بالاشمئزاز والكراهية:

«أظن أنه مشغول في الوقت الحاضر».

لكن لورا مرّت أمامه من دون أن تلح عليه ودخلت الى البهو. ولاحظت من خلال باب مفتوح رجلاً ضخماً يرتدي بذلة رسمية جالساً وراء مكتبه، وزجاجة عصير في يده.

ولدى رؤيته الفتاة الشقراء، نهض الضابط في سرعة وقال:

«آنسة، ماذا تريدين؟»

«أريد أن أرى والدي، دانييل ترانت. جيء به الى هنا بعد ظهر اليوم».

فأجابها الرجل مقطباً عن حاجبيه:

«موعد الزيارة ليس الآن. عودي في الغد...»

رفعت الفتاة يدها لتبعد شعرها عن وجهها. واذا بها ترى ملامح الضابط تتغيّر فجأة:

«هل قلت إنك تريدين رؤية السينيور ترانت؟ اذاً انت...»

«ابنته».

«خطيبة السينيور راميريز؟»

سحابة مفاجئة مرّت في عيني الشرطي الصغيرتين. إنه يستغرب

كيف أنّ رجلاً غنياً أهدى خطيبته خاتم خطبة عادياً جداً.

تبعت الشرطي في طول الممر الضخم التي تفتح عليه الابواب السوداء الضخمة. فلما وصل الى الباب الاخير، أدخل مفتاحاً في القفل وفتح الباب.

قالت لورا وهي تدخل الى غرفة صغيرة:

«شكراً، يا سيدي».

الأثاث الوحيد في الزنزانة هو سرير بسيط فوقه رفّ من الخشب الابيض وطاولة وكرسي كان يجلس فيها والدها. صرخ دان وهو ينهض:

« لورا، ابنتي الصغيرة!»

ركضت اليه وعانقته وهمست في صوت متقطع وهي تضغط على كتفيه:

«أبي... آه، أبي!»

فقال في صوت منفعل:

«لم أكن أريد أن تأتي الى هنا. ألم يحضر راميريز معك؟»

«هو؟ آه لا. لا يعرف أنني هنا...»

فقال دان مقطباً حاجبيه:

«إني أشك في أنه سمح لك أن تأتي لوحدك الى مثل هذا المكان. اجلسي، في الكرسي. وأنا سأجلس على السرير».

ولمّا رأى نظرات ابنته المشمئزة وهي تنظر إلى غرفته، ابتسم في سخرية وقال:

«لا يبدو لك المكان فاخراً، يا صغيرتي، لكنه بكل تأكيد أفضل منه

مرّة من الزنزانة التي ألقوني فيها عند وصولي».

فانفجرت قائلة بغضب:

«لكن ليس مفروضاً أن تكون هنا!»

أجابها في لهجة مهدئة:

«أعرف ذلك يا صغيرتي. أعرف جيداً. وأنا أيضاً أحسست بالشعور نفسه. عندما وصلت الى هنا. لكن عندما رأيت كيف يعاملون الموقوفين...»

توقّف ثم انحنى ليضع مرفقيه على ركبته:

«هل تصدّقين إذا قلت لك إنّ بعض الأميركيين وبعض الأجانب موجودون هنا منذ أشهر، بل منذ سنوات عديدة، من دون أن يمثلوا أمام المحكمة. لا عائلاتهم ولا محاموهم ولا أحد يمكن أن يفعل شيئاً لمساعدتهم».

قالت لورا في استغراب:

«ربما هم مذنبون! لكن أنت لست كذلك. يجب إيجاد طريقة لاقناعهم بأنك بريء».

تنهّد دان وهو يذرع أرض الغرفة الصغيرة وقال:

«يا ابنتي المسكينة. في هذا البلد، أهم شيء أن يكون لك اصدقاء في الدولة. على فكرة رجال الشرطة لم يعتقلوا بعد الرجلين اللذين استأجرا سفينتي».

«متى ألقوا القبض عليهما، يطلقانك في الحال».

هزّ دان رأسه وقال:

«هذا شيء رائع! لكن ما أعرفه عن هذين الرجلين قليل جداً. إلاّ أنهما

لن يتردّدا في أن يفعلا ما في وسعهما للتخلّص من هذه الورطة. يجب النظر إلى الامور بلا خوف، يا لورا... ربما قالا إنني متواطئ معهما».

«لكن هذا ليس صحيحاً».

وبعد تنهد عميق، عاد دان ليجلس على السرير، ثم قال:

«أنا وأنت نعرف ذلك تماماً. لكن هل بامكاننا إقناع الآخرين؟»

فقالت وهي تضغط على يديها:

«سوف أطلب من برانت أن يأتي الى هنا. فهو يعرف ما يجب عمله».

«هل هذا صحيح؟»

التقى نظره المرتاب بنظر ابنته. فأخفضت لورا عينيها. إنها تعرف بماذا يفكّر والدها. لقد أظهر برانت انزعاجه فيما يتعلّق بالحياة الحرة التي كان يعيشها والدها. وشعرت لورا بفقدان الامل وقالت في صوت غير أكيد:

«اسمع. ربما يمكنه أن يدلّنا الى محام صديق له. في كل حال فان برانت متخصّص بالدفاع عن حقوق الشركات، وهذه القضية ليست من اختصاصه...»

فقاطعها دان في قسوة لم تتعوّد عليها من قبل:

«ألم تفهمي ما قلته لك. المحامي الاميركي لا يمكنه أن يفعل شيئاً في هذا البلد. القانون وحده يطبق».

همست لورا في صوت مخنوق: «لكن يجب أن نفعل شيئاً».

أكدّ لها دان في قوة:

«هناك شخص واحد قادر على اخراجي من هنا هو السينيور ديبغو راميريز. لديه النفوذ والمال والعلاقات».

توقف قليلاً ثم أضاف:

«وهو يريد الزواج منك».

فهمست قائلة:

«آه. هل فاتحك بالأمر؟»

«تصرّف بوضوح... لكن، يا صغيرتي، لماذا لم تخبريني بأنّ الامور وصلت الى هذا الحدّ بينك وبينه؟ مساء امس، في فندق الميرادور جعلتني أعتقد بأنه رجل متزوج...»

«صحيح؟ أوه...»

من الصعب أن تقنع والدها بأنها قبلت الزواج من ديبغو اليوم فقط بعدما كانت تعتقد بالأمس بأنه متزوّج فعلاً.

ليس هناك إلاّ حلّ واحد وهو الاعتماد على هذا الرجل المكسيكي لينقذ والدها من هذا المأزق الصعب.

فقالت في خجل:

«في الحقيقة، كان يزعجني بعض الشيء أن أعلمك بقراري قبل أن أفسخ خطبتي من برانت».

وصدّقها دان، إذ قال وهو ينحني ليضغط على يديها بحنان:

«إنك لا تتصوّرين الى أي درجة أنا سعيد من أجلك. يا ابنتي الصغيرة مساء أمس، رأيت ديبغو راميريز، شعرت بأنه رجل حياتك، أكثر من برانت. إني أقول لك هذا بصراحة. إن ديبغو يحبك. هذا هو واضح للغاية. نظراته لا شك فيها، و...»

توقف فجأة ليمرّر يده في شعره ثم أضاف:

«شرط الاّ تعتقدي أن هذه الظروف الصعبة هي التي تدفعني لأن أقول ما أقول. أفضّل أن أبقى هنا وأموت على أن أراك...»

قاطعته لورا بسرعة قائلة:

«أعرف ذلك، يا أبي. لكن في وسع ديبغو أن يسوّي الأمور. إنه يعرف عدداً كبيراً من الشخصيات البارزة في الدولة. سترى أن بقاءك في السجن لن يطول».

«هل أنت متأكدة تماماً من عواطفك يا لورا؟ الزواج من رجل مثل راميريز هو زواج لا يمكن فسخه، لا تنسي ذلك. إذا كنت تشعرين بأنك غير واثقة من الأمر، قولي بصراحة. في كل حال لا شيء يؤكد أنني سأستعيد حريتي حتى ولو بمساعدة ديبغو. يجب ألاّ تتأثري بوضعي الحالي ولا تلقي بنفسك في زواج تندمين عليه مدى الحياة».

أخفضت لورا عينيها على يدي والدها الضاغطتين على يديها. لقد أكد والدها قائلاً: «الزواج برجل مثل راميريز هو زواج لا يمكن فسخه». وهي التي كانت تظن أنّ هذا الزواج مؤقت ينتهي بمجرد خروج والدها من السجن. ومع ذلك شعرت بالأمل في أنّ كل شيء سيتم بصورة حسنة. رفعت عينيها ونظرت الى والدها وقالت:

«نعم، يا أبي. إني متأكدة من حقيقة عواطفي. ولا أتصوّر حياة سعيدة من دون ديبغو».

وللمرّة الاولى، ابتسم دان في استرخاء. وعندما غادرت لورا والدها بعد دقائق، كان في غاية الغبطة والانشراح ومتفائلاً بقدرة صهره العتيد على وضع حدّ لهذه الأزمة.

٤ ـ انتظرتك منذ الأزل

«آلو».

كانت لورا تنتظر أن تسمع صوت دييغو راميريز البارد. لكنها فوجئت بصوت امرأة، فقالت بعد تردد:

«هل... هل بامكاني التحدث مع السينيور راميريز؟»

«السينيور راميريز يأخذ حماماً في بركة السباحة. هل الأمر طارئ؟»

«نعم. سأنتظر على الخط».

اخذت لورا ترتجف. اذا افلتت الساعة، فلن تستعيد شجاعتها لتطلبه من جديد. فمن الأفضل الانتظار.

«لحظة، من فضلك».

كانت لورا تطرق بعنف على طاولة الهاتف وتحاول تهدئة أعصابها. من مع دييغو في بركة السباحة؟ ربما كونسويلو ذات القامة المشوقة والعينين السوداوين الجميلتين. ليس من الصعب التصوّر أن هذا الرجل لا يمانع في رؤية النساء الجميلات في زي السباحة.

فقالت في صوت متردد:

«إنني... لورا ترانت».

«آه...!»

ران صمت طويل، وتساءلت لورا ما اذا كان محدثها يكتفي برؤيتها تعتذر جهاراً.

فقال أخيراً في لهجة مألوفة:

«هل زرت والدك؟»

«إني... نعم، مساء أمس. إني... إني مستعدة للتفكير في عرضك...»

عمّ صمت من جديد، وطال الى حد أنها ظنت أن المكالمة قطعت. وبعد ثوان عديدة قال دييغو في لهجة لا مبالية:

«من الافضل أن تكلميني عندما تقررين قبول العرض».

بعد ساعات من التفكير المستمر والعذاب للتوصل الى هذا الحل كانت تأمل منه على الأقل أن يقوم هو أيضاً بجهد من جانبه. لكن يبدو أنه ليس من طبيعة دييغو راميريز أنه يبدي بعض التفهم وقليلاً من الرحمة.

همست في صوت مختنق:

«حسناً. إني أوافق على الزواج منك».

طبعاً لم تكن تنتظر منه كلمات الحب، لكن خاب ظنها من ردة فعله الموجزة.

«سأوافيك بعد نصف ساعة. هل أنت في الفندق؟»

«نعم».

«الى اللقاء يا لورا».

بينما كانت تذرع الأرض بعصبية ذهاباً وإياباً بين غرفتها وغرفة

الجلوس، بدا لها الوقت طويلاً. كانت في حالة قلق وبلبلة عاجزة على أن ترى المنظر الساحر الذي يطل من شرفتها على البحر وراء شاطىء رملي أبيض محاط بأشجار النخيل العديدة.

لماذا يريد دييغو راميريز، هذا الرجل الثري وصاحب النفوذ وزير النساء أن يتزوجها؟ صحيح أنَ عمل لورا كعارضة أزياء يجذب اليها الاضواء، وصحيح أنها تتمتع بجمال خلاب، لكنها لا تعتز بذلك. إن بشرتها الشقراء الفاتحة لا بد أن تكون العامل الفعّال الذي جذب هذاالرجل المحاط فقط بالنساء السمراوات لكن هذا السبب ليس كافيا ليتزوجها.

«الزواج اللاتيني لا يمكن فسخه» هكذا قال والدها. انتفضت عندما تذكّرت أنها ستفسخ الزواج الذي تعتبره رباطاً مقدساً وذلك بعد أن يخرج والدها من السجن.

تطلّعت الى نفسها في المرآة. بعد ليلة لم تخلد فيها الى النوم، بدت شاحبة الوجه. فاسرعت الى الحمام ووضعت بعض المساحيق على وجهها لتخفي شحوب بشرتها.

وعندما سمعت طرقات متواصلةعلى الباب، ظلت لحظة مسمّرة في مكانها، فالكابوس الذي بدأ منذ توقيف والدها ما زال مستمراً، والله وحده يعرف متى ينتهي!

تقدّمت بخطى بطيئة وفتحت الباب، وفوجئت بدييغو، الذي كان يرتدي بنطلون جينز ضيقاً وقميصاً بيضاء، يأخذ يدها ويطبع عليها قبلة. وبسرعة تخلّصت منه وابتعدت عنه قائلة في لهجة فظة:

«هذا النوع من اظهار العاطفة لا يبدو ضرورياً».

رفع حاجبيه متعجباً وقال:

«ألا تعتبرين أنه من الضروري أن تقبلي مني دليل حبي المتواضع؟»

«من الأفضل أن تدخل».

وعندما أصبحت في غرفة الجلوس الصغيرة المفروشة على الطريقة الاسبانية، التفتت نحوه وقالت:

«قبلت الزواج منك لسبب واحد أنت تعرفه. ولا داعي لأن نتبادل العاطفة التي لا نشعر بها تجاه بعضنا البعض».

«العاطفة ربما لا تشعرين أنت بها يا حبيبتي، لكن ذلك لا ينطبق عليّ. يجب ان نحتفل بهذه المناسبة، ألا ترين ذلك ضرورياً؟»

«لست في مزاج يؤهلني لأن احتفل بأي شيء ما، يا سينيور، لكن فنجان قهوة يكفي لتهدئة أعصابي».

وبينما كان دييغو يعد القهوة في المطبخ، خرجت لورا الى الشرفة وأسندت ظهرها الى الدرابزين وراحت تراقب برغبة الأزواج اللامبالين الذين يسترخون على الشاطىء. منذ أن وصلت وهي تحلم بأن تعود الى هنا في شهر العسل بعد أن تتزوّج برانت في لوس انجلوس... أين هي من هذا الحلم الآن؟

قالت ببرود وهي تأخذ فنجان القهوة من يد دييغو بعد أن أصبحت في غرفة الجلوس:

«شكراً».

رفع هو كأسه وقال:

«أتمنى لنا... زواجاً خصباً».

قالت لورا بصوت جليدي:

«دعك من هذه الأوهام. هذا الزواج لن يكون سوى صورياً، ولا تنتظر أن تنجب أولاداً».

وللحظة ظلّ جامداً ثم أخرج كأسه ووضعها على الطاولة وقال في هدوء وثقة:

«لا، يا حبيبتي. ليس الأمر كذلك. لن يكون بيننا زواج أبيض. لن أتزوّج إلا مرّة واحدة، وزوجتي ستكون أم أولادي. وستكونين أنت تلك الزوجة، وليس سواك».

سألته في صوت مرتعش:

«لكن لماذا؟ لماذا تصرّ على أن تتزوجني؟ إننا لا نعرف بعضنا بما فيه الكفاية. فكيف يمكننا بالتالي أن نحب بعضنا؟»

فقال في لطف وهو يلامس شعرها الاشقرالبراق الذي تركته ينسدل على كتفيها:

«لن يكون من الصعب معالجة هذه الأمور في أوانها».

بدأ قلبها يلين أمام كلماته الرقيقة. وأضاف:

«ألم يسبق لك، يا لورا، أن التقيت أحداً للمرّة الاولى وشعرت بأنك تعرفينه منذ الأزل وأن مصيركما واحد؟ لقد شعرت بهذاالاحساس الغريب عندما رأيتك في حفلة عرض الازياء. أنت التي كنت أنتظرها منذ زمن من دون أن أعرف ذلك».

أحست لورا وكأنها مخدرة. صوته العذب فعل فعله فيها، وراحت تتطلع الى عينيه السوداوين الجميلتين وفمه المكسيكي. ثم أدركت أنه يأخذ فنجانها من يدها بلطف ويجذبها الى ذراعيه.

هذا العناق الطويل لم تذق طعمه من قبل. كانت يداه تداعبان وجهها وعينيها وكان يهمس في اذنيها كلمات الحب الناعمة. في البدء تقلصت لورا، لكنها سرعان ما استرخت. لم يسبق لها أن شعرت بالتفاعل مع الآخرين. واحتلتها رغبة في أن تتخلى عن المقاومة أمام هذا الرجل الذي اختارته. لكن لم تكن هي التي اختارته... استعادت وعيها في الوقت الذي كان دييغو يرفع رأسه مواصلاً الهمس بكلمات ناعمة. وفجأة دفعته عنها واتكأت الى الحائط وراح قلبها ينبض بسرعة جنونية وعيناها الخضراوان تحدّقان فيه في تعبير يتعذر تفسيره.

ثم قالت في صوت لاهث:

«إني لا أؤمن بهذا الهراء! لماذا؟»

اقترب منها على مهل وقال في صوت مبحوح وهو يداعب خصلة شعرها:

«ومع ذلك شعرت يا حبيبتي بأني لم أكن في نظرك مجرد عابر سبيل. لقد أحسست تجاهي بالحب والرغبة... وزواجنا ملائم تماماً وسيكون ناجحاً».

ابتعدت لورا عنه. كانت تبدو منطوية على نفسها. قالت:

«في رأيي، هذا الزواج ليس له الا هدف واحد، يا سينيور، وهوأن يؤدي الى تحرير والدي».

«كلما أسرعنا في الزواج كان في وسعي أن أحقق هذا الهدف. وكل ما أستطيع عمله هوأن أقنعهم بالاسراع في محاكمته. واذا كان بريئاً...»

صرخت وهي ترمقه بنظرة قاتمة:

«طبعاً هو بريء. في حياته كلها لم يقم بأي عمل إجرامي. فكيف يمكنه أن يتواطأ في تجارة المخدرات أو تهريبها؟»

«يبدو أنه لا يقوم بأي عمل ثابت، وليس لديه مهنة معينة؟»

قالت وهي تنظر الى النافذة لتخفي الدموع المترقرق في عينيها:

«ترك كل شيء بعد وفاة والدتي. كان يريد أن يبتعد من كل شيء يذكره بها».

فصرخ دييغو:

«بما في ذلك ابنته؟»

«كان مضطراً لأن يضعني في مدرسة داخلية في دير للراهبات. ماذا يمكن أن يفعل رجل أرمل بابنة في الثانية عشرة؟ كان من الصعب أن أرافقه وأتقاسم حياته، على متن سفينة تظلّ مبحرة».

«طبعاً، لم يكن ذلك مناسباً».

ثم ربّت على المقعد الواسع الذي يجلس فيه وقال:

«تعالي واجلسي قربي، يا حبيبتي».

لكنها جلست في مقعد آخر، وسألته:

«متى تظن أنه يمكنك إقناعهم بتحديد موعد المحاكمة».

«الوقت مبكر لمعرفة الجواب. ربما شهر او شهران...»

«يا الهي! كل هذه المدة؟»

«اشكري ربك. هناك العشرات ظلّوا في السجن سنوات من دون محاكمة».

«نعم. أعرف. مساء امس أخبرني والدي بذلك. حسناً... لم يبق أمامنا

إلاّ أن نتزوج في أسرع وقت ممكن».

فقال دييغو بسخرية:

«هذه العجلة تغمرني فرحاً. ويجب أن تتم حفلة الزواج في مكسيكو. لديّ هناك العديد من الأصدقاء، والعلاقات والمعارف الذين قد يحقدون عليّ اذا لم يتسن لهم حضور العرس. ليس لدي أهل مقربون. وباستثناء كونسويلو، أرملة أخي، قريبتي الوحيد هي التي تعيش في المسكن العائلي في كويرنافاكا. إنها طاعنة في السن ولا يمكنها أن تأتي إلى مكسيكو في هذه المناسبة».

«أليس لديك أب أو أم؟»

أجابها وهو يضغط بشدة على شفتيه:

«كلا. مات والديّ في حادث طائرة وهما عائدان من كانساس. كنت في الرابعة عشر آنذاك».

فقالت لورا بحنان:

«إنني آسفة».

ألم تمر هي أيضاً بمثل هذه المحنة؟

قال دييغو وهو يهز كتفيه:

«الشباب يشفون بسرعة من هذه الصدمات. والآن يجب أن نحدد تاريخ العرس. الزواج المدني يمكن أن يتم خلال اسبوع، يوم الجمعة المقبل، والزواج الديني في اليوم التالي».

«لماذا كل هذه السرعة؟»

«كي تجري الامور بصورة أفضل. والى أن يحين هذا الموعد، لا يمكنني أن أعرض عليك أن تسكني معي في مكسيكو. لذلك سأطلب من

كونسويلو أن تستقبلك في منزلها».

قالت بلهجة جافة:

«أريد... أن أبقى قرب والدي. لماذا لا يمكننا أن نتزوج هنا في أكابولكو؟»

قطب دييغو حاجبيه وقال:

«إن معظم الشخصيات الكبرى التي انا بحاجة اليها من أجل قضية والدك كلها في مكسيكو، حيث مراكز أعمالها. لذلك فمن الضروري أن يحضروا العرس».

وضع يده بلطف على يد لورا وقال:

«وتعويضاً لذلك، يمكننا أن نعود الى هنا حالاً بعد انهاء حفلة العرس ونقضي شهر العسل في فيلا جاسينتا. وهكذا تتمكنين أن تذهبي لرؤية والدك يومياً».

كان عليها أن تكتفي بهذا الوعد. واقترحت على دييغو إمهالها يومين للقيام بشراء الاشياء الضرورية. وقال دييغو إن كل النفقات ستكون على حسابه، فاضطرت الى قبول ذلك لأن المال القليل الذي تحمله لا يكفي لشراء الملابس الفخمة التي من المفروض أن ترتديها كزوجة السينيور دييغو راميريز.

٥ - لأنها تشبه الأم

ضغطت لورا بأصابعها المرتجفة على صدغيها كي لا تسمع الاصوات المرتفعة الآتية من قاعة الاستقبال في الطابق الاسفل.

كان القماش المطرز الذي صنع منه فستان العرس يلوي قامتها النحيفة، كما تلوى الريح السنبلة الصغيرة. هبطت في الكرسي الصغير الموضوع أمام منضدة الزينة ذات المرايا المزخرفة، ورأسها ما يزال بين يديها، ثم أسندت مرفقيها إلى المنضدة.

هذه الغرفة الشاسعة بدأت تخنقها. أثاثها من الخشب الاسود الثقيل، وأبواب الخزائن العالية المزيّنة بالمرايا، تعكس سريراً عريضاً يقع في احدى زوايا الغرفة، عليه غطاء من قماش موشى بالذهبي والاحمر الغامق. كل شيء من الطراز الاسباني.

انه ديكور يليق بزوجة مكسيكية للسينيور دييغو سيزار دافيد راميريز.. عندما سمعت هذا الاسم، في المركز البلدي رفعت لورا حاجبيها مستغربة، فقال لها دييغو، إنّ والدته اميركية الجنسية.

نعم هذه الغرفة تليق بعروس مكسيكية. لكنها تبدو غريبة لفتاة أميركية عاشت حياتها في جو بسيط هل نامت والدة دييغو في

هذا السرير، وهل وضعت فيه ولدها البكر؟

ارتعشت لورا لهذه الفكرة، وشعرت بارتياح عندما شاهدت كونسويلو تدخل الغرفة وتقول:

«أرسلني دييغو لأطلب منك أن تستعجلي».

بدأت لورا تفك سلسلة الازرار الصغيرة التي تغلق الفستان عند الظهر. فقد جرى تصميم الفستان لجدّة دييغو منذ ستين سنة، أي قبل اختراع السحابات. وهذه السيدة العجوز التي استقبلت لورا بلطف في المسكن العائلي في كوبرنافاكا، ألحّت عليها كي ترتدي هذا الثوب يوم العرس، وقالت لها بانكليزية صحيحة:

«كنت أحلم دائماً بأن ترتدي عروس دييغو الفستان نفسه الذي ارتديته عندما تزوّجت جده. ما من أحد في العائلة له مقاييس جسمي نفسها سواك».

نظرت كونسويلو في عين حاسدة الى ثوب لورا الحريري الأصفر الموضوع على المقعد وقالت:

«حظّك كبير لأنك تزوجت من رجل ثري».

فضّلت لورا ألاّ ترد. كانت تعلق فستانها في الخزانة وتستعدلارتداء ثوبها الأصفر، وهي لا تشعر بأي خجل من خلع ملابسها أمام النساء، فقد تعوّدت ذلك كعارضة أزياء. وكانت كونسويلو تتأمل في عين ناقدة قامة الفتاة الممشوقة والنحيفة:

«لست ادري كيف انجذب دييغو الى امرأة نحيفة مثلك. إن صديقاته كلّهن نساء جميلات ذوات أجسام مليئة».

قالت لورا، وهي تبكلّ زنار تنورتها:

«صحيح! ولكن لماذا لم يقع اختياره على واحدة منهن؟»

«كان دائماً متمسكاً بفكرة واحدة وهي أن يأتي بامرأة تحلّ مكان والدته التي توفيت عندما كان صغيراً. إنه لا يزال أسير هذه الذكرى».

انتفضت لورا قلقاً. قفزت الى ذهنها صورة تلك المرأة الشقراء الجميلة المعلّقة في الجدار بين عدد من اللوحات تمثل رجالاً ونساء كلّهم سمر. صحيح أنّ هناك بعض الشبه بينهما، لكن ذلك لا يؤكد أنّ دييغو إنما اختارها لهذا السبب.

قالت لورا:

«كل ما تقولينه أوهام!»

فأجابت كونسويلو:

«لا. لست مخطئة. واذا كان ما أقوله غير صحيح، فلماذا لم يخترني أنا؟ إن تقاليد بلادنا تقضي بأن يتزوج الرجل أرملة اخيه».

«تلك هي اذاً المشكلة». فكّرت لورا وهي تجلس وراء منضدة الزينة. كانت كونسويلو تأمل في أن يتزوجها دييغو بعد انتهاء فترة الحداد، لكن بدل أن يفعل ذلك، اختار امرأة غريبة... إنها غلطة لا تغتفر. لو كان بامكان لورا أن تقول لها أنّ زواجها هذا لن يدوم، فقط لأن يخرج والدها من السجن بعد إعلان براءته. في كل حال، ألم يفرض دييغو عليها قبول الزواج، هي التي كانت ترفض تلك الفكرة بقوة؟

قالت لورا:

«كان عليك أن تكلّمي دييغو بالأمر».

«أن تكلّمني عن ماذا؟»

كان صوت ديبغو منبعثاً من عتبة الغرفة.

التفتت لورا نحوه، فاقترب منها وهو لا يزال يرتدي بذلة العرس الغامقة. وقد وضع على القبة قرنفلة حمراء. وبرغم قرار لورا اعتبار هذا الزواج بمثابة اتحاد عابر، سببه الوضع المؤسف الذي يعيشه والدها في السجن، فانها لم تستطع أن تلجم انفعالها عندما سمعت في الكنيسة كلمات الحب والاخلاص تتدفّق من فم ديبغو، وتمنّت لو أنّ هذا الزواج كان أكثر من صورة ساخرة كئيبة.

وبعد خروجهما من الكنيسة، وسط أصدقاء ديبغو الذين ملأتهم الدهشة والفرح، توجّها الى المسكن العائلي، حيث كانت قاعات الاستقبال الواسعة تزدحم بمئات المدعوين من الشخصيات ورجال الاعمال، الذين حرصوا على تقييم العروس برغم نظرات زوجاتهم الحانقة، بينما رمقت بعض السيدات لورا بنظراتهن اللاذعة الخبيثة.

وجّه ديبغو بعض الكلمات باللغة الاسبانية الى أرملة أخيه التي هزّت كتفيها وخرجت من الغرفة بعدما صفقت الباب وراءها بحدّة.

إلتقت عينا المكسيكي اللاهبتين بعيني لورا في المرآة وقال:

«ها نحن أخيراً وحيدان يا زوجتي. لقد تحمّلت بعذاب كل هؤلاء الرجال الذين كانوا يحيّونك، ولم تخطر ببالي إلاّ فكرة واحدة، هي أن أخطفك من بين المدعوين وأذهب بك الى فيللا جاسينتا بأسرع ما يمكن».

عانق لورا التي شعرت برعشة صغيرة، فهمست وهي تلتفت اليه:

«أرجوك...»

لكنه لم يسمع، بل راح يعانقها بحنان، ممّا جعلها تشعر بأحاسيس بالغة. همس في أذنيها قائلاً:

«آه لو تعرفين كم أحبك! هل يجب أن ننتظر حتى نصل الى فيللا جاسينتا؟ هل تريدين أن أطلب من المدعوين الانصراف، ليتسنّى لنا أن نكون وحيدين؟»

المدعوون يزدحمون في قاعات الاستقبال في الطابق الاسفل. أمام هذا المنظر أستعادت لورا وعيها فتخلّصت فجأة من عناق ديبغو وراحت ترتب نفسها، ثم همست في صوت مخنوق:

«هل نسيت أنّ هذا الزواج هو مجرّد زواج أبيض؟»

وبقوة تمسك بكتفيها وحدّق في أعماق عينيها وقال:

«سبق لي يا حبيبتي أن قلت لك أنّ الزواج لن يفسخ. ومن هذا الزواج، ومن هذا الحب سيكون لنا أولاد».

«لا».

وضع يده على صدر زوجته حيث كان قلبها ينبض بسرعة جنونية ثم همس قائلاً:

«كيف تقولين شيئاً كهذا؟ إنك ترغبين في هذا الاتحاد وأنا كذلك. إنني أعرف ذلك تماماً. ألا تشعرين بأنّ قلبينا ينفعلان في انسجام وتناغم؟»

هذا الكلام الهائم جعلها ترتعش في خوف غامض. أية امرأة لا تتأثر بكلمات الحنان والغزل من فم رجل جذاب له خبرة واسعة في استمالة النساء؟

قالت في عناد وتصلّب بالرأي وهي تتوجّه الى منضدة الزينة وتسرّح شعرها:

«لا شك انك تهذي، يا سينيور. أنت تعرف جيداً سبب زواجنا. وهذا الزواج لا دخل له بإنجاب الاولاد من أجل استمرار عائلة راميريز. عندما يخرج والدي من السجن، فإنني...»

توقفت وعضت على شفتيها فسألها دييغو في لطف:

«ماذا ستفعلين يا حبيبتي؟»

أمسكها من معصمها وادارها نحوه واكمل:

«هل تعتقدين أنني بعدما أقسمت بأن أكون مخلصاً أمام اصدقائي والشهود، سأرضى بأن تطرديني، عندما لا تعودين بحاجة إليّ، لأصبح أضحوكة الجميع؟ لا يا لورا، لقد أصبحت زوجتي، وسوف تبقين زوجتي، وإنني أتعهد بذلك».

ارتعشت لورا حين لمحت نظرته المصممة. يبدو أنّ تهديده ليس مجرّد كلام. إنه ينوي الذهاب في الزواج حتى النهاية، وسيصرّ على أن يكون له أولاد، مما يؤدي الى استحالة فسخ الزواج. نعم، لكن... نحن في القرن العشرين... بأولاد أو من دون أولاد، كل شيء ممكن حتى الطلاق...

وبعد أن وضعت أحمر الشفاه، تناولت حقيبة يدها وقالت وهي تبتسم:

«إنني جاهزة».

«إذاً، هيّا بنا. حقائبنا أصبحت في السيارة».

«ألا تريد أن تبدّل ثيابك؟»

ابتسم وقال:

«الخدم في فيللا جاسينتا لم يحضروا العرس. وسيفرحون إذا

شاهدوني في ثياب العرس».

وبطرف أصابعه، راح يداعب خدها:

«كما أني أريد أن يفهم كل الذين سنلتقيهم في طريقنا أن هذه العروس الجميلة هي ملكي».

ثم أضاف وهو ينظر إلى لورا:

«أرجوك، من أجل والدك، أن تبذلي كلّ ما في وسعك كي تظهري أمام الجميع أنك الزوجة المحبة».

صمت المدعوون المتجمعون في المدخل الواسع حول سبيل ماء لمدة لحظات لدى رؤية العروسين يهبطان السلم، ثم تجمعوا حولها ووجهوا إليهما التهاني والتمنيات.

وعندما أصبحا في السيارة المزيّنة بالورد، أقلع دييغو بسرعة. وبعد قليل سلك الطريق المؤدية الى أكابولكو. ومن وقت الى آخر كان يرد باشارة من يده على تحيات السائقين او الفلاحين الذين لاحظوا بذلة العرس. ولم يتبادل مع لورا الآ بعض التعليقات العابرة في شأن الأماكن التي مروا فيها.

كانت لورا المتكئة باسترخاء على المقعد المريح، تحلم في اليقظة. يا لسخرية القدر، فقد تزوّجت من رجل كانت تريد أن تعتبره الرجل المناسب، لولا الظروف الحاضرة. إنه متديّن مثلها، وهذا في رأيها أمر أساسي. كما أن دييغو يتمتّع بجمال وجاذبية وثراء وشهرة.

أخفضت عينيها على الزمرّدة المحاطة بحبات الماس الرائعة، التي يتألف منها خاتم الزواج الموضوع في إصبع يدها اليسرى قرب المحبس الذهبي. دييغو بنفسه وضعه في اصبعها بعدما أجبرها على

خلع خاتم الخطبة الذي أهداها إياه برانت. وقد بعثت الى خطيبها برسالة موسّعة تطلب منه أن يسامحها على تغيير رأيها. ولم يتسنى له الوقت للردّ عليها. هل سيتسنى له القراءة بين السطور ليدرك أن لورا ما تزال تحبه؟

سألها دييغو فجأة:

«بماذا تفكرين؟»

انتفضت لكنها ردت عليه بصراحة:

«أفكّر ببرانت، خطيبي».

قطب دييغو حاجبيه وقال:

«لم يعد لك خطيب يا لورا. لديك زوج مصمّم على أن يجعل منك في القريب العاجل زوجته بكل ما في الكلمة من معنى... ثم هذا الذي يدعى برانت، أما كان فعل مثلما سأفعل أنا هذه الليلة، لو كان مكاني؟»

أجابته وهي تحاول أن تخفي انفعالها:

«ليس إذا طلبت منه ألاّ يفعل».

«هذا ما كنت أظن. في عروقه تسري دماء باردة».

صرخت بعنف وحدّة:

«أنت مخطىء! إنه يتمتّع برجولة مثلك. إنما هو انسان متمدّن... ولطيف وأقل تطلّباً منك».

«أمثال هؤلاء الرجال بطبعهم البارد، يجعلون الدنيا مهجورة من البشر، يا لورا المسكينة! هل تعتقدين أنّ الغزاة الاسبان كانوا يضيّعون وقتهم عندما يغازلون النساء. لا. عندما كانت تعجبهم المرأة التي

يلتقونها، كانوا يتزوجونها وما من مرّة شكت هذه النسوة من شيء».

سألته لورا في مرارة:

«وهل يسمعون شكواهن؟»

«ربما لا. إنني اعترف بذلك. لكن القليلات هنّ اللواتي حاولن التخلّص من هذا القدر. ومعظمهن أسّسن عائلات مثل عائلتي، وأعطين اولادهن العطف والحنان والمحبة التي نالوها من ازواجهم. لا شك في أنهن نساء رائعات عرفن أن يتقبّلن مصيرهن.

فقالت لورا بسخرية:

«لم يكن أمامهن خيار آخر».

وصلا الى مداخل أكابولكو. ولما رأت الشاطىء الرملي الذي تحدّه أشجار النخيل وجوز الهند، فكرت لورا بانفعال أنها سترى والدها عما قريب.

الممر الطويل المتعرّج الذي يؤدي الى فيللا جاسينتا لم يكن قد قطعته لورا من قبل. المرّة الوحيدة التي جاءت فيها مع دييغو الى هنا كانت عن طريق البحر على متن يخته. ظهرت الفيللا من بعيد: جدرانها بيضاء، وقرميدها زهري وهي مبنية على قمّة تلّة صخرية، تحيط بها الأزهار من كل الجهات: على الشرفة الواسعة وجهتي السلالم العالية، والجدران الصغيرة، والمرتفعات المشجرة... إنها فيض من الالوان الزاهية والروائح العطرة.

وما أن توقفت السيارة أمام الفيللا، حتى انفتح الباب بمصراعيه الكبيرين. وظهرت جوانيتا الخادمة المسؤولة. وراءها زوجها كارلوس المسؤول الاول في الفيللا.

أسرعت جوانيتا بوجهها الاسمر الضاحك لاستقبال العروسين، فرحة برؤية سيدها في بذلة العرس والقرنفلة الحمراء. قبّلها دييغو على خديها وصافح من في المنزل وطلب من جوانيتا أن تحضر الشراب المنعش الى غرفة الجلوس.

أخذها الى الصالون الصغير الذي تطل شرفته على البحر. المنظر رائع، فتوجهت لورا الى الشرفة لتمتع نظرها بهذا المنظر الخلاب. الامواج تتكسر على الصخور والرغوة البيضاء ترتفع أحياناً بعلو المنزل. ومن جهة أخرى يبدو الشاطىء الرملي تحميه سلسلة صخور تحيط بعرض الشاطىء.

قالت لورا لنفسها: «على الأقل، هنا، يمكنني أن اسبح بصورة دائمة».

ظهر دييغو فجأة وقال كأنه قرأ أفكارها:

«من الأفضل ألاّ تسبحي إلاّ على الجهة الجنوبية من الشاطىء. فالشاطىء الشمالي مليء بالتيارات الخطرة. وأفضل شيء هو الاكتفاء بالسباحة في البركة».

فكّرت لورا: «أليس جريمة أن يسبح المرء في البركة عندما يكون البحر على خطى قريبة منه؟ شاطىء تحدّه أشجار النخيل وجوز الهند المليئة بالثمار الناضجة».

شعرت بيد دييغو تلمس عنقها بينما ترفع يده الاخرى ذقنها وسألها:

«هل تعتقدين حقاً أنّ السباحة هي التسلية الوحيدة التي تجدينها في فيللا جاسينتا يا حبيبتي؟ أودّ أن أقدّم لك أكثر... وأفضل...»

وبحركة عنيفة، تخلّصت لورا من قبضته وقالت:

«أراك واثقاً من نفسك!»

أجابها بصوت خفيض:

«نعم. إني واثق من قدرتي على إسعاد زوجتي. وعندما أضمّك بين ذراعي، الليلة، أعدك بأنك ستنسين برانت نهائياً».

فقالت وهي تدير نظرها عنه وتحدّق في الخليج:

«كيف تجرؤ على التحدث بهذه الصورة. أنت تعرف جيداً أنّ هذا الزواج ليس سوى نفاق ورياء! يا إلهي سامحني لأني ارتكب صباح هذا اليوم خطيئة مميتة، فقط لانقاذ حياة والدي. فقد أقسمت بأن اخلص لرجل لا أحبه. أرجوك ألاّ تجعلني أضاعف خطأي إلى... إلى...»

جذبها دييغو نحوه بقوة وقال:

«تقولين إنك لا تحبينني! إني أشعر كلما عانقتك بأن هناك تجاوباً لديك. ومن يقول إنك لن تتوصلي الى حبي متى أصبحنا زوجين بالفعل؟»

فجأة خفّف من حدة صوته ونظر اليها بلطف وقال:

«إني أسف يا حبيبتي. إنّ تخوّفك في محله. وهذا شيء طبيعي. الا يمكنك أن تثقي بي. إني قادر على أن أكون لطيفاً معك».

ظهرت جوانيتا حاملة صينية:

«شكراً جوانيتا».

ثم أضاف بعض الكلمات الاسبانية طالباً من الخادمة أن تفرغ حقائب السيدة.

ولمّا خرجت جوانيتا من قاعة الاستقبال التفت دييغو نحو زوجته وسألها:

«هل يمكنني أن أطلب منك أن تتصرّفي كسيدة المنزل، يا لورا؟»

وبعد تردّد قصير، هزّت لورا كتفيها واتجهت نحو الطاولة التي وضعت عليها الصينية. كانت تشعر بالتعب وبالعطش بعد المسافة الطويلة التي قطعتها في هذا الحرّ اللاهب، فلم تشعر برغبة في التحدّث مع الرجل الذي بدأت تخشاه. عليها أن تحافظ على نشاطها وحماسها وطاقتها لأنها ستكون في حاجة اليها في المساء لتبقيه بعيداً عنها. ومع ذلك فهي تعترف أنّ شغف دييغو بها وولعه وشوقه، إضافة الى الديكور الرومانسي المحيط بهما، كلّها توقظ فيها رغبتها.

ومن حسن حظها، فقد أدرك دييغو أنه من الأفضل تغيير الموضوع. فبدأ يتحدث بمرح وطلاقة عن أشياء كثيرة وفي الوقت نفسه كان يحتسي الشاي ويأكل السندويشات الصغيرة والحلوى بالكريما التي أحضرتها جوانيتا.

«هل تعرفين، يا لورا، أنّ هذه الفيللا تحمل اسم جدتي؟»

«لا. لم اكن أعرف أن جدتك تدعى جاسينتا».

«عندما بنى والدي هذا المنزل، أعطاه اسم والدته...»

سألته في صوت ساخر:

«ولماذا لم يعطه اسم زوجته؟»

غامت نظرات دييغو بتعبير حزين فقال:

«لم توافق جدّتي على زواجهما. في الحقيقة يمكن القول إنّ والدتي لم تستطع التّجاوب مع تقاليد البلاد...»

«وما هو اسم والدتك؟»

«لورا. لورا دايفيس».

كأنها تلقت حماماً مثلّجاً. هل كانت كونسويلو على حق عندما قالت إنّ دييغو لم يتزوّجها إلاّ لأنها تشبه والدته؟ حتى أنهما تحملان الاسم نفسه...

سألها دييغو بلطف عندما رآها تنتفض:

«ماذا جرى، يا حبيبتي، تبدين كأنك تخشين حكم جدتي... لكن هل تعتقدين أنها استقبلتك بالحرارة وهذا الحب وأعارتك فستان عرسها، لو لم تعتبرك الزوجة التي أحلم بها؟»

وضعت لورا فنجان الشاي على الطاولة وقالت ببرود:

«لا يهمني كثيراً ما إذا كانت جدتك تقبلني أم لا».

انها كذبة واضحة. في الحقيقة، أحبّت لورا كثيراً هذه المرأة العجوز التي تتمتّع ببعض الاستبداد والجمال، والتي لا تخفي حبّها الكبير لحفيدها الوحيد.

أضافت وهي تنهض دفعة واحدة:

«هل يمكنني الآن أن أتوجّه الى غرفتي؟»

«سأوصلك الى جناحنا. إن جوانيتا تعدّ لنا عشاء بسيطاً وخفيفاً. لكننا لن نتناوله قبل الثامنة والنصف وأمامنا الكثير من الوقت حتى ذلك الحين».

تساءلت لورا بعصبية وهي تتبعه في البهو، ثم في الممر:

«أمامنا الوقت كي نفعل ماذا؟ هل سيحاول تنفيذ ما يجول في خاطره؟»

فتح دييغو باب شقتها الفاخرة المستقلة تماماً عن المنزل. وفي رواق صغير تطلّ غرفة نوم شاسعة مزينة ومفروشة في ذوق مترف ولطيف. الابواب الزجاجية تفتح على شرفة مزهرة تطلّ على قسم من

الشاطئ. وفي وسط الغرفة سرير عريض.

التفتت لورا الى دييغو وقالت:

«بما أنّ العشاء يتأخر، فإنني أودّ أن أذهب لزيارة والدي قبل...»

«كلا يا حبيبتي، هذا لا يمكن تحقيقه اليوم».

فقالت لورا بغضب:

«لكن لماذا؟ لقد اتفقنا على...»

قاطعها بحدة:

«لقد اتفقنا على أن تتزوجيني ليكون لي سبب وجيه يمكنني من مساعدة والدك على أن يمثل أمام المحكمة بأسرع وقت ممكن. لقد وعدتك بأن أفعل ذلك. وسأحقق هذا الوعد».

«واتفقنا أيضاً على رؤية والدي».

فقال بهدوء:

«نعم سأتيح لك ذلك. لكن كثيرين سيفاجأون بأن ترغب زوجتي في الابتعاد عني ليلة العرس... والدك أيضاً قد يستغرب ذلك...»

«لماذا؟ إنه يعرف أن...»

توقفت لورا عن متابعة الكلام وعضت على شفتيها. صحيح... لا يعرف والدها أنّ هذا الزواج ليس زواج حب...

«إن والدك يعرف فقط أني احب ابنته أكثر من أية امرأة أخرى، وأنّ سعادتها هي أقصى ما أتمناه».

أكثر من أي امرأة اخرى. إنه ينسى والدته... تضايقت لورا فجأة، وتوجهت نحو النافذة وأسندت جبينها الملتهب اليها وراحت تتأمل الامواج تتكسر على الصخور. لماذا رفض دييغو أن يسمح لها

برؤية والدها الآن؟ هل يخاف أقاويل الخدم. أو أنه يصرّ على أن يملكها قبل ان يتسنّى لها الهرب؟

قالت في جفاف:

«بما أنه لا مجال لرؤية والدي الآن فاني أفضل أن أستريح».

وفوجئت بقبول دييغو عرضها:

«كما تريدين، يا حبيبتي. سآتي لآخذك الى العشاء في الثامنة. استريحي جيداً».

وبعدما أغلق الباب وراءه، خلعت لورا حذاءها العالي. وشعرت بألم في رأسها فتناولت حبتي مسكن من حقيبتها وتوجهت الى الحمام.

كان الحمام مقسماً الى جزئين. الاول يحتوي على مغسلة كبيرة وحنفية مذهبة، وطاولة زينة كبيرة تضم عدداً كبيراً من الأدراج، تعلوها المرايا المرتفعة حتى السقف. أما الجزء الثاني فقد ذكرها بالحمامات الرومانية. فهو مؤلف من حوض رخامي أخضر في وسطه نافورة ماء، تحيط بها أحواض مزروعة بأشجار النخيل. وما أن تناولت حبتي المسكن حتى عادت الى غرفتها وبدأت تخلع ملابسها.

فتحت باب الخزانة الواسعة ووجدت في جهة كل ملابسها معلّقة باتقان، وفي الجهة الثانية كانت ملابس دييغو. يا الهي. يجب أن تقنع نفسها أنه الآن زوجها وأنه يحق له أن يضع ملابسه مع ملابسها.

وبحركة غاضبة تناولت قميص نوم من الساتان الأبيض وهرعت إلى الحمام. حتى الماء الناعمة التي وضعت فيها الاملاح ذات العطور المختلفة لم تساهم في استرخاء عضلاتها بصورة كاملة. كان عقلها يعمل باستمرار وتبحث من دون جدوى عن طريقة تجعل دييغو

يتراجع عن تصميمه.

بإمكانها أن تهرب من المنزل وتستقلّ سيارة ديبغو، وتذهب الى أكابولكو. لكن ذلك لن يخدم قضيتها ولن يعيد الحرية الى والدها. لا يمكنها الاستغناء عن مساعدة ديبغو. إنها في حلقة مفرغة.

خرجت من المغطس ولفّت جسدها بمئزر الحمام. ثم راحت تجفّف جسمها وارتدت قميص النوم. ربما توصلت الى اقناع زوجها، بأن رجلاً يحترم نفسه لا يمكنه أن يحقّق لنفسه أية متعة ضد إرادتها.

تمدّدت فوق الغطاء الحريري المعرّق الذي يلف السرير.

ماذا تفعل كي تجعل ديبغو بعيداً عنها. راحت تقارن وضعها بوضع شهرزاد التي نجحت في النجاة من الموت المحتم طوال ألف ليلة وليلة، لأنها راحت تروي لشهريار القصص المشوقة التي لا نهاية لها...

ولكن هل ستتمكن بهذه السهولة من أن تحوّل ديبغو عن الهدف الذي صممّ على تحقيقه؟

٦ ـ الهمسة الحاسمة

عندما استيقظت لورا كان الظلام قد ملأ الغرفة. وللحظات لم تتذكّر أين هي، ولا لماذا هي هنا. لكنها عندما سمعت صوت الباب استعادت ذاكرتها بسرعة.

بدأ قلبها ينبض بسرعة جنونية، عندما رأت ديبغو، في بذلة المساء البيضاء، يتقدم بخطوات واسعة نحوالسرير. نظر اليها بدقة وتهلّل وجهه عندما شاهد قميص نومها نصف المفتوح.

حاولت لورا إقفال القميص، لكنه أبعد يدها، وجلس قربها ووضع رأسه على صدرها. وبصورة غريزية، وضعت يدها على شعره الاسود مستمتعة بهذه المداعبة.

همس ديبغو بصوت مبحوح:

«أنت رائعة الجمال يا حبيبتي».

وعندما شعرت بجسمه يقترب منها، استعادت وعيها. ماذا تفعل بين ذراعي هذا الرجل الذي تسخر منه، والذي استفاد من نعاسها ليفاجئها؟

ألحّت بصوت مختنق:

«أرجوك، ابتعد عني».

وبحركة مفاجئة توصّلت الى إبعاده عنها.

«لن تسامحنا جوانيتا، إذا لم نتذوق الطعام الذي أحضرته خصيصاً لنا».

لم تجرؤ لورا على أن تنظر الى زوجها. فسكتت. أخيراً قال ديغو في لهجة ساخرة:

«أه، سوف تفهم، إنني متأكد أنها تفهم»

«لكن ربما كنت على حق وسوف ننتظر... ربما هذا أفضل...»

ألقى نظرة سريعة الى ساعة يده الذهبية، ثم قال:

«اذا أسرعت بارتداء ملابسك، فلن تتأخري عن العشاء. سأختار ما تريدينه».

ابتعد باتجاه الخزانة وعاد حاملاً فستاناً طويلاً من القطن الابيض المقطع بالرسوم الهندسية. وقال لها وهو يضعه على طرف السرير:

«لديك تشكيلة جميلة من الملابس الرائعة يا حبيبتي، لكني سأشتري لك الكثير أيضاً مما يصدر عن دور الازياء الباريسية. وسوف أشتري لك الحلي و...»

قاطعته لورا بسرعة:

«الثياب والحلي لا تهمني. إن الشيء الوحيد الذي أرغب فيه هو حرّية والدي.»

«أنت تعرفين جيداً أنني سأفعل كل جهدي لأحصل عليها. هل تشكّين في كلامي؟»

«سأصدقك بسهولة اذا وعدت بألاّ تلمسني وألاّ تمارس حقوقك كزوج

قبل خروج والدي من السجن».

فقال في تقلّص:

«لكن هذا يمكن أن يدوم أسابيع، وربما شهوراً! هل تظنين انني من حجر؟ هل تظنين بإمكاني النوم قرب زوجتي كاللوح؟ لا هذا غير وارد... وليس صحيحاً سواء بالنسبة إليّ أو بالنسبة إليك».

ارتجفت عينا لورا. أحست بأنها كانت تتجاوب مع مداعبته لها. كيف وصلت الى حدّ أن تكشف عواطفها؟

قالت بوضوح:

«لن تكون ثمة مشكلة إذا لم نتقاسم السرير نفسه».

انتفضت عندما رأت ديغو، الغاضب، يمسك بمعصمها ويضغط عليه بقوة ويقول:

«لا تتعلّقي بالأوهام، يا لورا، قبل نهاية الليل، برضاك أو بالقوة، ستصبحين زوجتي. والآن أسرعي. أنتظرك في قاعة الاستقبال الصغيرة».

نظرت اليه بغضب وهو يعبر عتبة الغرفة ويغلق الباب وراءه. من يكون هذا الرجل ليشتهي امرأة ترفضه؟ هل تسلّيه مقاومتها له وتثيره، بدل أن تبرد أعصابه؟

إذا كان ذلك صحيحاً، فستخيب لورا آماله! وعدت نفسها بأن تتصرّف بين ذراعيه مثل عجينة رخوة، من دون انفعال. لن تقاومه ولن تشجعه أيضاً. ربما تأمل بأن تمنعه كبرياؤه في مثل هذه الظروف من أن يرغمها على إطاعته.

بعد هذا القرار شعرت لورا بارتياح. ارتدت الفستان الذي اختاره

لها ديبغو ووضعت الزينة والعطور وتوجهت الى غرفة الاستقبال.

كان ديبغو مديراً ظهره يحدّق في عتمة الليل. رأى انعكاس لورا من خلال زجاج النافذة، فاستدار مسحوراً أمام زوجته الرائعة في فستانها الأبيض. ولمّا رأت نظراته، ندمت لأنها لم ترتد فستاناً عادياً

اقترب منها بسرعة، ورفع يدها وراح يقبّلها وهمس:

«صحيح أن الجواهر لن تزيد من جمالك، يا حبيبتي».

لكنها أفلتت منه بلطف وجلست في كنبة مريحة. وسألته متجاهلة نظرته المهانة.

«هل يمكنني أن أشرب شيئاً؟»

سكب لها ديبغو عصير البلح المثلّج وسكب لنفسه كوب ماء بالليمون ثم قال بلهجة احتفالية يتخللها القليل من السخرية:

«أرفع كأسي لصحتنا».

ولمّا لاحظ أن لورا لم تسمع ما قاله أفرغ كأسه وجلس في مقعد آخر، وقال بجفاف:

«لم يسبق أن فرضت على امرأة شيئاً أريده».

كانت لورا تدرك أنه تعرّف الى عدد كبير من النساء في حياته. هذا طبيعي لرجل مثله، يتحلّى بمركز رفيع في المجتمع، إضافة الى جاذبيته ورجولته.

شربت العصير وسألته بصوت متردّد:

«الشخص، أقصد الأشخاص الذين ستتصل بهم بخصوص والدي، هل بإمكانهم أن يعجلوا في تحديد موعد المحاكمة؟»

«لم أفعل شيئاً حتى الآن».

«لكنك وعدت...»

«لقد وعدت بأن أحدّثهم عن والدك. ويوم عرسي ليس بالظرف المناسب وأنت تعرفين ذلك جيداً. سأفعل خلال اسبوع أو أسبوعين...»

«اسبوع أو أسبوعين، وخلال هذا الوقت، يبقى والدي في السجن. أتجد ذلك طبيعياً؟»

«يجب ألاّ نبالغ في الأمر. إن والدك في أيد أمينة. وهو الآن يتناول عشاءً فاخراً. لا ينقصه أي شيء. ولا حتى الرفقة النسائية إذا كان هذا ما يرغبه».

احمرّت لورا خجلاً وقالت:

«كيف تجرؤ أن تقول... هذا... عن أبي...»

«إن والدك رجل مثل بقية الرجال، أليس كذلك؟»

بعدما طرقت الباب دخلت جوانيتا، مضطربة ومعتذرة عن تأخرها.

فقال ديبغو بلطف:

«هذا غير مهم، يا جوانيتا، لم تنته السينيورا من كأسها بعد».

«شكراً، سينيور. العشاء حاضر».

وبعدما خرجت الخادمة وأغلقت الباب وراءها، نهض ديبغو وقال:

«لو سمحت أن تنهي عصيرك يا حبيبتي، كي نذهب الى العشاء. لقد أمضت جوانيتا ساعات تعد الطعام. ولا داعي لأن ندعها تنتظرنا أكثر». فقالت لورا وهي تفرغ كأسها:

«ليس في نيتي ازعاج جوانيتا، أبداً».

قالت لورا لنفسها: «إن دييغو يحترم موظفيه ويحرص على راحتهم، بينما رغباتها هي تبدو آخر اهتماماته. يا لسخرية القدر!»

قال وهو يتأبط ذراعها:

« لورا. اسمعي جيداً. لا أريد أن تعرف جوانيتا إننا لم نتزوج عن حب. فهي تنتظر هذا اليوم منذ زمن...»

أجابت لورا بقسوة وهي تفلت من قبضته:

«تباً لجوانيتا وللجميع في كل حال. ليست جوانيتا من يضطر الى مقاسمتك سريرك ومائدتك».

تقدمت أمامه في خطى أكيدة. لكنها توقفت في منتصف الممر، ضائعة أمام العدد الهائل من الابواب لا تعرف أي منها تختار. ومن دون كلمة، لحق بها دييغو ثم أدخلها الى قاعة الطعام المتصلة بالدار الكبير بباب ذي مصراعين. غرفة الطعام بسيطة، لا تشبه في شيء غرفة الطعام الواسعة بقصره في مكسيكو.

فكّرت لورا وهي تتأمل الطاولة الممدودة في دقة وفن: «يا لها من ورطة». إن أي فتاة في العالم تحلم بمثل هذا الديكور ليلة عرسها، برفقة زوج جذاب مثله! لماذا اختار هذا الرجل المتعجرف، الجذاب الذي يستطيع أن يملك كل النساء، اختارها هي بالذات؟

ظهرت جوانيتا حاملة الوجبة الاولى المؤلفة من اللوبياء المتبلة بالحشائش العطرية والجبن والصالصة الحامضة. إنه حساء شعبي أعجبها طعمه، لكنها لم تكن قادرة على احتساء إلا القليل منه لأنه حار. الوجبة الثانية كانت مؤلفة من لحم الاوز المطبوخ. أكلت بعضاً منها، ولم يكف دييغو من النظر اليها بشكل مبهم. كان يلعب مع

طريدته لعبة الهر والفأر...

ولمّا مدّت يدها لتتذوق العنب الهندي سألها دييغو فجأة:

«منذ متى عقدت خطبتك على هذا الأميركي؟»

فقالت متعجبة:

« برانت؟»

أجـاب بخشونة:

«هل كان هناك الكثير قبله؟»

«كلا. هو فقط إنه الرجل الاول الذي تعرفت اليه منذ خروجي من الدير. كنت أسمع دائما أخبار صديقاتي، يتحدثن بفرح عن أصدقائهن الرجال، الذين تعرّفن اليهم خلال العطلة الصيفية. أما أنا فكنت أمضي عطلتي على متن سفينة والدي وهذا كان يكفيني حقاً».

«الى أن دخل برانت في حياتك، أليس كذلك؟»

«نعم. إنه يملك كل ما ترغب أي أمرأة أن تجده في الرجل».

وعندما رأت وجه دييغو يتجهم أضافت:

«إنه شاب حسن المظهر، ساحر، تحبه الفتيات. وقد حسدتني العديدات عليه».

أنهت كلمتها بصوت مخنوق. وتذكرت بدقة غريبة، السبب الذي دفعها الى قبول الزواج من الاميركي برانت.

ذات مرة عادا باكراً من عطلة نهاية الأسبوع، أمضياها لورا و برانت في منزل والديه. وبرغم استقبالهما الحميم لها، وإلحاح برانت بالذات، كانت لورا مترددة في ان تعده بالزواج. صحيح أن المحامي الشاب يتمتع بمزايا عديدة، لكنها كانت تشعر بأنه جدي

أكثر من اللازم. نادراً ما كان يعانقها أو يداعبها. لم يكن قادراً على أن ينسى لحظة، إن لورا تلقت تربيتها على أيدي الراهبات.

ومع ذلك، وفي ذلك اليوم بالذات، اتخذت قراراً نهائياً بأن تتزوجه، بعدما رأت والدها يعانق فتاة سمراء على سطح السفينة بربارة التي كانت تتوجه نحوها برفقة برانت.

ومن دون تردد، التفت لورا برفيقها واقترحت عليه أن يعودا من حيث أتيا، أو بالأحرى الى مطعم قريب لشرب القهوة.

لم تكن تريد أن ترى والدها في هذه الحالة. وفهمت حينئذ أنه لم يعد لها مكان في حياة والدها.

صحيح أن برانت فوجىء بقرارها، لكنه لم يظهر استغرابه. فهو يتمتع بأعصاب هادئة الى درجة الغيظ.

قال دييغو بصراحة قاسية:

«لا شك ان إحدى الفتيات التي كانت تغار منك، ستكون مسرورة جداً لأن تستعيد حبيبك القديم».

أخفضت لورا عينيها. حزن قلبها أمام فكرة أن برانت يغازل امرأة اخرى. نهضت وقالت متثائبة في الوقت الذي دخلت فيه جوانيتا حاملة صينية القهوة.

«إني مرهقة وأريد... أن أذهب الى غرفتي».

نهض دييغو في الحال ووضع ذراعه حول كتف لورا وقال للخادمة:

«إن السينيورا متعبة بعد هذا النهار الطويل. لن نتناول القهوة».

ابتسمت جوانيتا وقالت:

«نعم سينيور، ليلة سعيدة».

ولمّا وصلت الى غرفتها ، حاولت لورا إغلاق الباب على دييغو، لكنها لم تنجح.

توجّهت الى منضدة الزينة وخلعت حلقها الماسية ووضعتها في علبة الجواهر. ثم قالت بجفاف:

«في منزل شاسع كهذا، لا شك أن غرف النوم عديدة».

فقال بهدوء:

«نعم. لكنني قرّرت أن أتقاسم هذه الغرفة مع زوجتي».

صرخت لورا:

«أنا لست زوجتك».

قال وهو يرفع يدها اليسرى ويتأمل محبسها الذي وضعه في إصبعها في الصباح:

«لكن، يا حبيبتي، هذا هو الدليل...»

فقالت وهي تسحب يدها:

«كل هذا مسرحية محزنة وأنت تعرف ذلك جيداً. كيف أستطيع التعبير عن محبتي لرجل لا أعرفه؟ فكيف إذا كنت لا أحبه!»

لمع وجه دييغو وقال بصوت مداعب:

«غالباً ما يأتي الحب بعد الزواج يا حبيبتي... إن الزوج الحنون والمهتم يعرف كيف يجلب الحب الى قلب زوجته...»

فقالت وهي تدير له ظهرها:

«صحيح أنني ترعرعت في دير. لكنني نشأت في بلد حرّ حيث النساء عرفن منذ زمن طويل كيف يتخلين عن سيطرة الجنس القوي».

«إذاً فأنت تفضلين ذلك الأميركي الفاتر الذي نشلتك من بين يديه. حبيبتي، سوف نرى... سأتركك عشر دقائق فقط لأغيّر ملابسي».

ظلّت لورا محدّقة للحظة طويلة في الباب حيث خرج دييغو. لا شك أنه ذهب الى غرفة أخرى ليغيّر ثيابه. سوف تقفل الباب. ومن المؤكد أنه لن يحاول خلع الباب خوفاً من ازعاج جوانيتا.

ولكن لا مفتاح بالباب، لا في الخارج ولا في الداخل! كادت أن تجهش بالبكاء. وفجأة، اتخذت قرارهاالنهائي. فخلعت فستانها وارتدت قميص نوم حريرية، وكانت متأكدة من شيء واحد: قد يمتلكها دييغو هذه الليلة لكنها ستفعل المستحيل كي لا تدعه يشعر بأي اكتفاء لكبريائه وعزّة نفسه.

لم تكن لورا تدرك الوقت الذي مرّ. فأغلقت باب الحمام وراءها وراحت تغسل أسنانها وتزيل الزينة عن وجهها. ثم سرّحت شعرها.

عيناها الخضراوان تعكسان نوعاً من الالهام والوله. حلمت مثل أي فتاة شابة بليلة عرسها، لكن بصورة غير واضحة. كانت دائماً تتصوّر زوجاً جذاباً، حالماً ورومنطيقياً، يعرف ما تطلبه المرأة في مثل هذه المناسبة.

فجأة انفتح الباب وأطلّ دييغو مرتدياً مئزراً من الحرير. آه، كم هو بعيد من رجل احلامها الناعم! قالت بصوت متقطع لتربح بعض الوقت:

«لست... لست جاهزة».

ومن دون أن يتحرّك ظلّ يتأملها من رأسها الى أصابع قدميها. فالتفتت لورا بعصبية نحو المغسلة لترتب بعض الاغراض. فأمرها

باختصار:

«اتركي هذا كله وتعالي».

وبحركة من أصابعها المرتجفة أوقعت لورا معجون الاسنان. ثم وكأن صوت دييغو سحرها، اقتربت ببطء وكأنها مخدرة، فضمها الى صدره بشدة. ثم حملها بين ذراعيه كالريشة وتوجّه بها الى الغرفة وهو يهمس بكلمات ناعمة وساحرة.

وضعها على السرير بلطف، وجلس قربها. كانت لورا جامدة كالثلج وهو غارق في مداعبتها... لكنها لم تستطع الاستمرار في الصمود.

قرارها أن تظل باردة كالحجر بين ذراعي زوجها لم ينفذ، لأنها كانت تشعر بأحاسيس مثيرة من جراء ملامساته البارعة.

همس دييغو بحرارة وبالاسبانية:

«حبيبتي، إني أحبك.»

وغريزياً كانت لورا تداعب كتفيه قبل أن تغرز أصابعها في شعره الأسود. كانت تهمهم باللغة الانكليزية بكلمات متقطعة ثم قالت من دون وعي:

«آه، برانت، حبيبي!»

عمّ صمت لبضعة ثوان. ثم سحب دييغو شعرها بعنف وهمس بصوت أجش:

«ماذا قلت؟»

انتفضت لورا في ارتعاشة غير إرادية واستعادت برودة اعصابها. إنها تحمل الحل لجميع مشاكلها. كيف لم تفكّر في ذلك من

قبل؟

فقالت في براءة متصنعة:

«هل قلت شيئاً ما؟»

فقال وهو يرمقها بنظرة غاضبة:

«لقد همست باسم برانت».

فقالت وهي تقطب حاجبيها:

«آه. ليس ذلك غريباً في مثل هذه الحالة... برانت وأنا كنا...»

وتوقفت تاركة دييغو ينهي الجملة. كانت تشعر بأن جسمه يرتجف غضباً. فسألها بهدوء يشوبه تهديد واضح:

«هل كان عشيقك؟»

تطلّعت اليه بنظرة خالية من أي تعبير وقالت ضاحكة:

«وماذا كنت تتصوّر؟ في الولايات المتحدة الاميركية يتمتع المخطوبون بحرية أقوى من هذه البلاد؛ هل كنت تتصوّر أن برانت وأنا يمكننا التوصل الى الاتفاق على الزواج من دون أن نعرف مسبقاً أننا منسجمان على جميع الأصعدة؟»

رفع دييغو مرفقيه وسمّرها على السرير ونظر اليها بغضب وقال وهو يشد بشعرها:

«لا أريد أن أمارس حقوقي مع امرأة سبق وعرفت رجلاً آخر. لماذا تزوّجت مني؟ لماذا؟»

فقالت وهي ترفع كتفيها:

«لأنك لم تترك لي أي خيار ان والدي...»

قفز دييغو من السرير وهو يطلق سيلاً من الشتائم باللغة

الاسبانية. ووضع مئزره والتفت الى لورا ورمقها بنظرات حقيرة.

«والدك... دائماً والدك... هل تتصورين أنني بعد كل هذا العار، سأرفع إصبعاً واحداً لأساعده على الخروج من هذه الورطة التي وضع نفسه فيها؟ يمكنه أن يمضي حياته كلها في السجن!»

بعد هذه الملاحظة، خرج من الغرفة، تاركاً لورا في حالة انهيار. نجحت في انقاذ نفسها ولكن ماذا كان الثمن؟

٧ ـ مشاعر متناقضة

«لورا!»

غضباً عنها، فتحت لورا عينيها الناعستين وتساءلت في خوف أين هي. ثم تعرفت الى الوجه القاسي، ذي الملامح النبيلة المتعجرفة، الذي كان يتراءى لها في نومها المليء بالكوابيس.

وبحركة من يده، أشار ديغو الى الصينية الموضوعة على الطاولة ثم قال:

«جئتك بطعام الفطور. كان يجب أن أفعل هذا وإلا لاستغربت جوانيتا الأمر و...»

تقوقعت لورا وسألته:

«ماذا... ماذا قلت لها؟»

أجاب وهو يتجه نحو النوافذ، ويفتح الستائر تاركا النور يدخل بقوة الى الغرفة:

«هل اعتقدت بأنني سأقول لها الحقيقة؟ أي أني أمضيت الليل بعيداً عن زوجتي التي وهبت نفسها لرجل آخر؟»

تكلم من دون غضب وبصوت حزين. شعرت لورا بالدمع

يصعد الى عينيها، متأثرة بكبريائه. كانت تريد أن تتراجع عما قالته بالأمس وأن تقسم له أن برانت احترمها دائما، وأنه هو، ديغو بالذات هو الذي عرف كيف يحرك المشاعر التي كانت تجهلها حتى الآن. هذه الليلة، ليلة الحب المتقطع وضعتها على شفير الانهيار وكانت سبباً في أرقها.

ومن دون كلمة، جلست في سريرها وألقت نظرة خاطفة الى الصينية المليئة بالمآكل الشهية. في سلة كان الخبز الصغير الطازج والساخن والزبدة الشهية بشكل أصداف موضوعة في صحن من الكريستال الثمين. وقرب إبريق القهوة المصنوع من الفضة، وضعت وردة حمراء في مزهرية صغيرة.

فهمست لورا بصوت خافت:

«شكراً لهذا الفطور. الوردة... رائعة»

قال ديغو وهو يقترب من السرير:

«ليس أنا من أعدّ الصينية. عليك أن تشكري جوانيتا».

«آه...»

لماذا خاب أملها الى هذه الدرجة. لا تعرف؟ وفي حركة خالية من أي حنان، أخرج ديغو من جيبه علبة صغيرة ورماها على السرير.

وأضاف بسخرية:

«من عاداتنا أن نقدم هدية الى العروس، شاكرين لها محبتها ورقتها خلال ليلة العرس. من الافضل أن تأخذيها»

أخذت لورا العلبة بيديها المرتجفتين وفتحتها بعناية. وجدت لورا داخل العلبةالمبطّنة بقماش الساتان الابيض زوجان من الحلق،

مصنوعان من الزمرّد المحاط بحبات الماس، التي تشبه خاتم خطبتها.

«أرجو أن تضعيها هذه الليلة خلال العشاء».

تلعثمت وهي تنظر الى وجه دييغو الحزين:

«إنها رائعة جداً. لكن يجب أن تحتفظ بها لزوجتك».

«أنت زوجتي. وكما سبق وقلت لك، لن أتزوج إلا مرّة واحدة في حياتي».

سألته بعد زفرة عميقة:

«حتى بعد كل ما حدث الليلة الماضية؟»

ثم أضافت بعدما أطلقت ضحكة خالية من الشعور بأي فرح:

«لكنك لست ناسكاً».

«لم أعتد العيش كناسك. وبانتظار أن أنسى خيبة أملي بعد خداعك لي، فلن تنقصني النساء عندما أرى أنني بحاجة الى واحدة».

قالت وكأنها تلقت صفعة:

«والنساء الأخيرات، ألسن جديرات بالاحتقار؟»

فأجابها بصوت هادىء وهو يتوجه نحوالباب:

«لا تخلطي الاشياء. لم يسبق أن فكرت أن تكون زوجتي واحدة منهن. احتسي القهوة. ثم تعالي لنسبح في البركة قبل الغداء، وسنذهب لزيارة والدك في فترة بعد الظهر».

شعرت لورا بجفاف في حلقها، فسكبت عدة فناجين قهوة شربتها بنهم. لم يكن وضعها أفضل من يوم أمس. سيبدأ لعبة الهر والفأر. ومتى سئم من النساء، سيفرض عليها أن تقوم بواجباتها الزوجية. سيعرف حينذاك أنها كذبت عليه فيما يتعلق ببرانت...

لكن، في الوقت الحاضر، يبدو أنه عاد عن قراره في اهمال والدها وتركه الى القدر. وهذا في حد ذاته انتصار.

عندما خرجت لورا من غرفتها، كانت الساعة العاشرة. وفي الممر التقت جوانيتا التي أحمر وجهها. ولا شك في أن الخادمة اعتبرت ذلك ناتجاً عن قضائها ليلة رائعة بين ذراعي زوجها.

فقالت الخادمة وهي تتأمل لورا من شعرها المرفوع الى الوراء، الى قدميها النحيفتين مروراً بفستانها المزهر:

«صباح الخير سينيورا راميريز».

«صباح الخير يا جوانيتا».

بدت الخادمة مسرورة من ان الفتاة الاميركية تجيد اللغة الاسبانية. فقالت جواباً على أحد أسئلتها:

«إن السينيور في البركة. يمكنني أن أجلب لك بعض الشراب. إذا كنت تريدين ذلك».

«شكراً. أفضل بعض القهوة اذا كان هذا ممكناً».

«سأعد القهوة في الحال»

قطعت لورا بهواً في وسطه سبيل ماء واسع. حوله النباتات المتسلقة على أعمدة حديدية. فجأة شاهدت بركة الساحة المستطيلة ذات اللون الازرق الفيروزي تلمع تحت سماء شديدة الزرقة.

وتأملت بامعان شبح دييغو على حافة البركة. وبالرغم منها بدأ قلبها ينبض بسرعة وهي تتأمل جسمه الجميل الملىء بالرجولة وكتفيه العريضتين وقدميه المعضلتين.

كان واقفاً يستعد لقفزة. ومن دون أن يراها رفع ذراعيه الى الشمس

ثم قفز تحت الماء، ولم يظهر الى سفحها الا بعد أن وصل الى الطرف الآخر من البركة.

وخلال عملية الغطس، جلست لورا على سرير بحر مبطن وراحت تدهن قدميها بزيت واق للشمس.

وفجأة شعرت بديغو يقترب منها ويتوقف قربها وهو يلاحظ ما تفعله. ومن دون أن ترفع عينيها ظلت تدلك قدميها لتدخل الزيت الى بشرتها.

أخيراً قال بصوت جاف:

«أتصور أن شمسنا المكسيكية الحارة ستتردد في التسرب الى بشرتك بعد هذا التدليك..»

كانت تفكر فيما اذا كانت هذه الكلمات تعني شيئاً آخر، وإذا بديغو يتناول الانبوب من يدها ويشير الى كتفيها:

«هل تسمحين بأن أدلك كتفيك...»

«بوسعي أن أفعل ذلك بنفسي».

لم يأبه ديغو لرفضها بل وضع في يده قليلاً من الزيت وراح يدلك كتفيها بلطف وشعرت بأنه يملك أصابع ذهبية. فهذا التدليك الخفيف ساعدها على الاسترخاء، بعد انفعالات الساعات الماضية وليلتها البيضاء. فاسترخت وأغمضت عينيها الى أن شعرت بيد ديغو تقترب من صدرها، وانفاسه تلامس اذنها. فشعرت بقشعريرة تعبر جسمها، فانتفضت واقفة.

«آه، عفواً يا سينيورا، أحضرت القهوة كما طلبت...».

ولدى سماعها صوت جوانيتا، التفتت لورا بسرعة، واحمرت

خجلا. لا شك في أن الخادمة شاهدت ديغو يلامسها ولربما اعتقدت أنه يهمس في أذنيها بكلمات الحب المعسولة. وعلى وجهها تعبير يقول بأن ما تراه او تسمعه شيء طبيعي جداً.

قالت لورا عندما اختفت جوانيتا عن الانظار:

«كيف تجروء على هذا. لا شك أنها فكرت...».

هز كتفيه وجلس على طرف سرير البحر وسكب لها القهوة وقال:

«في كل حال انتبهت بسرعة الى عينيك المتأججتين. لا شك في أنها وزوجها سعيدان ومبتهجان لليلة عرسنا..».

ثم قدم لها القهوة في فنجان مصنوع من الخزف الصيني. فقالت بصوت ساخر:

«إنني أعجب لاهتمامك برأي الموظفين والخدم».

«لا يمكنك أن تفهمي ... عندما كنت صغيراً، كنت أتي الى هنا خلال العطلة المدرسية، وكان كارلوس و جوانيتا بمثابة والدي. وهما الآن سعيدان جداً لرؤيتي متزوجاً ويحلمان برؤية أبنائي يقفزون على أحضانهما. ولذلك، فلا أريد أن أخيب آمالهما».

اتكأت لورا بعنف على أرائك السرير فاندلقت القهوة على الصحن. فاذا بديغو يأخذ الفنجان من يدها وينظفه ثم يعيده اليها قائلاً:

«كوني حذرة يا حبيبتي».

قالت في تحد:

«من الذي يمنعني من أن أقول لهما إن زواجنا ليس سوى مسرحية ؟»

«أولاً، لن يصدقاك. ثم، رغبة مني بأن أكذب أقوالك، فلن أتأخر عن

المطالبة بحقوقي الزوجية والحصول عليها».

«صحيح؟ وما رأي والدتك بالامر، لو كانت لا تزال حية».

لكنها كانت قد وعدت نفسها بألاّ تدعه يعرف بأن تلميحات كونسويلو فيما يتعلق بتشابهها مع والدته قد جرحت شعورها. فسألها بصوت مبحوح:

«من حدثك عن أمي؟»

«لقد شاهدت صورتها في مكسيكو... إنّ شبهها بي قوي جداً».

فقال وهو يتأملها من رأسها حتى قدميها:

«ليس هذا رأيي.الشبه هو مجرّد شبه سطحي. في الواقع، ليس بينكما أي شيء متشابه».

صمت لحظة ثم نهض قائلاً:

«سوف أسبح قليلاً قبل موعد الغداء. هل تأتين معي؟»

هزّت لورا رأسها بالنفي، فقفز دييغو في البركة وطرطشها بالماء الذي أنعش بشرتها الملتهبة. لماذا لم تتبعه الى البركة برغم حرارة الطقس؟ احتلها شعور بالخدر والخمول. لكنها لم تكن تتوقف من التفكير بصورة مستمرة. في كل حال، ربما كان من الافضل ألاّ تلتحق به في الماء. ربما حدث احتكاك بينهما وهي تعرف أنها عاجزة عن مقاومة رغبتها بالاستسلام له كلّما اقترب منها ولمس جسمها. متى أصبح والدها خارج السجن، سوف تفسخ هذا الزواج الذي فرضه عليها دييغو، وتغادر البلاد ومن السهل ان تحصل في بلادها على فسخ للزواج بطريقة أسهل مما يجري في مكسيكو.

اوقف دييغو سيارته المرسيدس قرب مركز الشرطة، ثم حدّج لورا بنظرة تهكمية وقال:

«تشبهين كثيراً امرأة عانساً مهانة يا حبيبتي. أكثر من عروس متألقة بعدما أمضت الليل بين ذراعي زوجها. يجب معالجة هذا الامر».

فالتفتت لورا نحوه وانفجرت غاضبة وقالت:

«هل تعتقد أن والدي سيصدق كل هذا الرياء والكذب؟ والدتي ووالدي أحبا بعضهما البعض منذ اللحظة التي التقيا فيها. ويعرف والدي تماماً كيف يظهر الحب والغرام في عيون العروسين وخاصة بعد... بعد... اوه...»

أكمل دييغو ببرود:

«بعد ليلة عرسها. اسمحي لي بأن أقول لك يا عزيزتي، أنّ والدتك لم تكن بكل تأكيد قد نامت مع رجل آخر قبل أن تتزوج والدك».

استغرابها المصدوم مات على شفتيها، لأن دييغو جذبها نحوه وخلع نظارتيها. ثم رفع ذقنها بنعومة وحدّق في عينيها الخضراوين الناقمتين. ثم من غير مبالاة بنظرات الشرطة التي تستعد للدخول الى المركز، انحنى رأسه على وجه لورا التي راح قلبها ينبض بسرعة جنونية. أرادت أن ترفع يدها لتبعدها عنها. لكنها لاحظت أنه انتزع من شعرها الدبابيس وانسدل شعرها الاشقر على كتفيها. تقلصت حتى لا تتناقى مع هذه الاحاسيس المتيقظة من جراء هذاالاقتحام المنتظر.

عناق دييغو وأصابعه التي تلامس شعرها وعنقها، كلها تساهم في فقدانها لوعيها. وأدركت أنّ برانت لم يكن قادراً على أن يشفي غليلها ويطفىء الظمأ الذي بدأت تشعر به. همست في أذنيه بصوت مذهول:

«دييغو...»

ولمّا دفعها عنه فجأة، شعرت بصدمة كبيرة. وخلال لحظة، راح يتأملها مثل فنان معجب بلوحته. ثم قال لها بصوت مبحوح:
«والآن، لا شك في أنك تبدين متعة للنظر. سوف يتأكد والدك من أننا عاشقان متيمان ولما رآها تبحث في حقيبتها عن مشط وحمرة الشفاه قال:
«لا. لا تفعلي شيئاً. والاّ اضطررت الى أن أعيد الكرّة».
تناولت لورا نظارتها لكن دييغو اعترضها قائلاً:
«اتركي النظارات هنا. إن نظراتك... كاشفة».
وبرغم غضبها، لم تكن لورا مستاءة من وجود دييغو معها. الشرطي البدين الذي رأته خلال زيارتها الاولى نهض لاستقبالها في ابتسامة مجاملة. لكنّ الشرطيين الآخرين راحا يحدّقان بها بطريقة وقحة، مما جعلها تلتصق بدييغو الذي وضع ذراعه حول خصرها. ولم يتركها إلاّ عندما وصلا إلى زنزانة والدها. ولما فتح السّجان الباب أسرعت لورا الى داخل الغرفة، تبحث عن والدها، الذي كان ممدداً على السرير ورأسه في اتجاه الحائط. وقد حلّ مكان السرير الصغير سرير واسع وضعت عليه الشراشف الملونة.
«أبي! هذه أنا!»
استدار دان وفتح عينيه كأنه يستيقظ من نوم عميق.
« لورا! هذه حقاً أنت؟»
انتصب بصعوبة وجلس على حافة السرير. ثم نهض وعانق ابنته وشدها الى صدره. ثم قال بصوت ثقيل:
«كنت أحلم. عفواً يا ابنتي، لم أنتظر أن أراك بهذه السرعة بعد الزواج. والاّ لرتبت غرفتي. أقبل مني أحرّ التهاني، يا دييغو».

ثم ابعد عنه ابنته قليلاً ليتأملها عن قرب. واستغربت لورا ان ترى بشرته داكنة فقال دان بابتسامة طبيعية:
«أرى أن الزواج يليق بك، يا صغيرتي. لم يسبق لي أن رأيتك مشعة كاليوم. واني سعيد جداً لذلك».
قالت بصوت خافت:
«كنت أود لو حضرت حفلة العرس، يا أبي. لم يكن هناك أحد من عائلتي».
ضغط دان على يدها وقال بانفعال بعد صمت طويل:
«كان هناك زوجك. إنه يساوي كل اهلك واصدقائك».
كبتت لورا أحاسيسها والتفتت عفوياً الى دييغو، وفوجئت أن رأت في عينيه الحنان والمحبة. فقالت بصوت منخفض:
«نعم... كان هناك دييغو».
قال دان:
«لنجلس ونتحدث قليلاً. لا أريد أن أحتجزكما كثيراً. لا شك أنكما ترغبان أن تكونا وحيدين. كما أننا لسنا في فندق من الدرجة الاولى. لكن، منذ زيارة لورا الاخيرة، أصبحت غرفته مريحة جداً. وضعت المقاعد الجلدية حول الطاولة. وخزانة مليئة بالملابس. وعلى الطاولة أباريق القهوة والشاي وبراد يحوي على المشروبات المنعشة.
« دييغو، أريد أن أشكرك لكل ما فعلته لتجعل هذا المكان مريحاً. كما أحب أن أشرب شيئاً على شرفكما. ماذا تريدين أن تشربي يا لورا؟».
كانت على وشك الرفض، لكن نظرات دييغو جعلتها تغيّر رأيها فقالت:

«أريد قليلاً من الشاي».

وقام دييغو بسكب الشاي للجميع. واذا بدان يرفع كأسه ويقول وهو ينظر الى ابنته بانفعال كبير:

«ليكن زواجكما سعيداً كما كان زواجي».

احمرت لورا خجلا وجرعت الشاي وكادت تختنق ثم قالت:

«أعرف جيداً، يا أبي، أنّ زواجك كان فريداً من نوعه.»

لم يكن بإمكانها التصور أنه سيأتي يوم ويشرب والدها على شرفها في زنزانة مكسيكية، كأن عرسها من رجل حقير؟ هي التي كانت تحلم أن يرافقها والدها إلى العرس ويسلمها إلى برانت. أمر غريب للغاية... فجأة عادت إلى وعيها وتبين لها أن والدها وزوجها يتحدثان كأنهما صديقان قديمان.

آه لو أنها قادرة على أن تفتح قلبها لدان، أو أن تبقى معه، لوحدها بضعة دقائق. خلال الفرص المدرسية التي كانت تمضيها برفقة والدها على متن سفينته بربارة كان دائما يصغي اليها بانتباه لكل مشاكل وأحزان الطفولة والمراهقة. أما اليوم والوضع معها متأزم، فإن والدها هو آخر من يمكنها أن تشكو اليه أو تفتح له قلبها.

نهض دييغو كأنه أحسّ بمدى توترها، ووضع فنجانه على الطاولة وقال في محبة:

«يجب أن نذهب الآن، يا حبيبتي».

ثم أضاف وهو يلتفت نحو عمه:

«تأمل خادمتي أن يكون العشاء الليلة أنجح مما كان عليه عشاء الأمس...»

ابتسم دان ترانت بينما ابتعد دييغو نحو الباب تاركاً الابنة والأب يودعان بعضهما البعض على حدة.

همس دان في صوت مبحوح:

«لقد عثرت على زوج محب، يا حبيبتي. اعتني به جيداً. هذا ما فعلته أمك ولم تندم أبداً على هذا».

أرادت لورا أن تصرخ له أنها نادمة على زواجها من هذا الرجل الذي لا تحب ولا يمكنها أن تحبه أبداً».

«أنت تحب دييغو كثيراً. أليس كذلك، يا أبي؟»

أجابها دان وهو يتفحصها بنظراته:

«نعم، سيكون صالحاً لك، يا صغيرتي. لقد عرفت ذلك منذ المرة الاولى، عندما رأيته ينظر اليك في الميرادور. كما أنني فخور جداً بابنتي، واعتقد أن دييغو محظوظ بك أيضاً، ومسرور لأنه تعرّف اليك. لقد قلت له ذلك، وكان من رأيي».

سألته لورا من دون أن تخفي مرارتها:

«والآن؟»

قال دان وقد فاجأته لهجتها الحزينة:

«كأن شيئاً ما يزعجك، يا ابنتي. ألست سعيدة؟ أحياناً يشعر المرء بالانصدام بعد ليلة العرس الاولى، لكن الامور تتبدل بسرعة، سوف ترين ذلك».

أدركت لورا أنها تشكو بطريقة غير مباشرة، فقامت بجهد وابتسمت وقالت:

«بلى أنا سعيدة. لا يمكنني أن أتصوّر العيش من دون دييغو».

فرح لجوابها. غصت لورا وخرجت لتوها من الزنزانة. طوّقها ديبغو بذراعيه ورافقها في المشي ولم تتمكّن من إخفاء دموعها.

ولمّا وصلا الى السيارة، سألها ديبغو:

«هل هناك ما يزعجك؟»

«طبعاً. لماذا الاستغراب؟ اني متزوجة من رجل ترعبني مجرد رؤيته ووالدي مسجون في هذا المكان المرعب».

قامت بحركة غاضبة باتجاه السجن الواقع على الجهة الثانية من الطريق. وبالصدفة وقع نظرها على وجه ديبغو، فانتبهت الى تغيّر ملامحه بهذه السرعة الرهيبة. فقدت عيناه لمعانها وحرارتها العادية وتقلص وجهه. ومن دون كلمة، اقلع بسيارته.

وخلال الطريق عمّ الصمت. مرة أو مرتين التفت لورا بنظرة خاطفة باتجاهه.

أوقف السيارة أمام المنزل وأخذ لورا بذراعها وجذبها بقوة نحو الشقة، من دون أن يلاحظ نظرة جوانيتا المتفاجئة وكانت لورا تنتظر في أن تراه ينتقم منها بطريقة... طبيعية. لكنها ظلّت جامدة، مستعدة لكل شيء ما عدا رؤية ملامح وجهه الجامدة.

فهمست بعدما دفعها بقوة داخل الغرفة:

«ديبغو!»

ثم رددت بصوت مرتجف وهي ترفع عينيها نحوه:

«ديبغو... ديبغو!»

«اجلسي».

تقدّمت خطوة منه وفي نظراتها توسل...

«اجلسي. إني آمرك أن تجلسي. اسمعيني جيداً».

جلست لورا في مقعد وهي تحدق فيه. توجه ديبغو الى النافذة وأدار لها ظهره. وبعد صمت طويل قال بدون أن يلتفت اليها:

«لقد أخطأت. اخطأت عندما تزوجتك بعدما انتزعتك من خطيبك، واخطأت في الاستفادة من وضع والدك لأرغمك على الزواج الكريه بنظرك. كنت اعتقد بأني قادر على التوصل الى أن أجعلك تحبينني، لكن...»

التفت نحوها وهو يهزّ كتفيه. فهمست لورا في صوت متقطع:

«الحب... لا يمكن فرضه».

أضاف وهو ينظر الى النافذة:

«أعرف هذا الآن. ولذلك، لن أفرض عليك شيئاً. من الافضل أن نظل متزوجين لمدة من الوقت. هذا يسهل عليّ القيام بالمساعي الضرورية لأخراج والدك من السجن ومتى أصبح حراً أعيد لك حريتك».

«اتريد أن تقول...»

«سوف نطلب فسخ الزواج».

«لكن، ديبغو...»

هذا ما كنت تريدينه منذ البداية، أليس كذلك؟ أن تخرجي والدك من السجن والالتحاق بالرجل الذي تحبين؟»

حزن قلب لورا وتلعثمت وهي تقول بصوت خائف:

«نعم».

بينما أدار ديبغو ظهره وخرج من الغرفة.

٨ ـ ما طعم الحياة بلا حب؟

همس جار لورا بلهجة متملقة:

«إنّ زوجك محظوظ جداً لأنه عرف كيف يقطف أجمل زهرة ليزيّن طاولته، يا سينيورا».

ألقت لورا نظرة سريعة الى الطرف الآخر للطاولة المستطيلة. كان دييغو يصغي بانتباه الى حديث جارته الجذابة. كان يبدو مسحوراً بجمال هذه المرأة السمراء، التي كانت ترتدي فستاناً أبيض ضيّقاً، يظهر تفاصيل جسمها الجميل.

أجابت بابتسامة مشدودة:

«لا أعتقد بأنّ زوجي كان يجد صعوبة في تزيّين طاولته بالزهور، يا سينيور».

أضاف جارها الذي كان يتبع اتجاه نظراتها:

«لا تقلقي عليه فيما يتعلّق بفرانسيسكا. إنه حب قديم. حب الطفولة. لقد تزوّجت من رجل فرنسي. وسمعت أنها كانت سعيدة جداً معه. لكن للأسف، توفي أنطوان منذ بضعة شهور. كانا يعيشان في فرنسا لكن فرانسيسكا فضّلت أن تعود الى وطنها. فبإمكان عائلتها

وأصدقائها أن يساعدوها في التغلب على أحزانها.

شاهدت لورا يد دييغو في يد الأرملة الجميلة، حيث أبقاها مدّة طويلة. حاولت جاهدة أن تتحرك وتتذوق ثمر الفريز الذي ينمو في جنوب المكسيك. لكن قابليتها ضاعت. وضعت شوكتها في الصحن وأشارت سرّاً الى الخادمة. وبعد لحظة، قدمت القهوة الى المدعوين. نظرت لورا بسرعة نحو زوجها. إنه ما يزال يتحدث الى جارته.

هذا هو العشاء الثالث الكبير الذي يقام في فيللا جاسينتا منذ عودتها الى أكابولكو، وتعوّدت لورا بسرعة أن تترأس الطاولة التي يشترك فيها عدد من الشخصيات الكبيرة المعروفة جداً في المكسيك. فقد قال لها دييغو إنّ هذا النوع من الاحتفالات يساعد في الجهود المبذولة لأخراج والدها من السجن وفي الاسراع باجراء المحاكمة.

قال لها ذات يوم عندما كانا يتناولان طعام الفطور قبل أن يتوجّه الى مكتبه.

«في بلادي، من الصعب استعجال الأمور. علينا أن نستقبل الشخصيات مرّات عديدة قبل أن نطلب منها الاهتمام بقضيتنا».

فقالت له بلهجة غاضبة:

«انت لا تفعل شيئاً، ووالدي...»

أجابها دييغو غاضباً وهو يرفس الكرسي:

«بالنسبة إلى الظروف الراهنة فإنّ والدك ليس في وضع سيء، بل بالعكس...»

قالت لورا بالحاح:

«ينقصه الهواء، ولون بشرته أصبح رمادياً».

قال في سخرية:

«آسف لأني لم استطع إقناع المسؤولين بأن يأخذوه كل يوم الى شاطىء البحر لتلوّح الشمس بشرته».

وخرج من الغرفة قبل أن يتسنّى لها الاعتذار. فهي تعرف جيداً، أنّ والدها سيكون في وضع يرثى له، لولا مساعدة ديبغو. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من إثارة زوجها. ربما لأنها تشعر بالاهانة عندما تراه يتأقلم مع وضعها المعقد في رباطة جأش وهدوء. ومنذ الليلة التي وعدها فيها بأن يعيد إليها حريتها، كان يعتبرها كأنها تمثال من الرخام يزين المكان.

وخلال شهر العسل الذي لا ينتهي لم يعد ديبغو ينظر إليها كأنها إمرأة جذابة ومثيرة، بينما هي تفقد صوابها وتضطرب تأثراً. فان ديبغو يحافظ على هدوئه الغريب. ولا شك في أنّ ذلك غريب لأنه يتمتع بطبع ناري. إنّ ذكرى ليلة عرسها حين كانا على وشك إتمام الزواج ما زالت تلازم لياليها الأرقة.

قالت لورا لجار ديبغو بعدما انتبهت أنه يكلمها:

«آه، عفوا إنني... إنني تائهة... كأنني كنت في القمر».

فهمس قائلاً:

«اعتقد بأن ديبغو يحاول أن يشير إليك منذ لحظة. لا شك في أنه يرغب في أن ينهض عن الطاولة؟»

«نعم بكل تأكيد...»

احمرّت بينما كانت نظراتها تلتقي بنظرات رب المنزل المتزنة. ولثانية

ظلّت جامدة وكأنها مشلولة. وبجهد نهضت ولحقت بالضيوف الى الصالون.

اتكأت لورا الى حائط الموقدة وراحت تتأمل في ابتسام المدعوين المتجمعين في حلقات في مختلف زوايا القاعة الكبيرة.

بين المدعوين كان وزير العدل واثنان من معاونيه. في هذه الليلة بالذات سيحقّق ديبغو أولى الخطوات من أجل الاسراع في إجراء محاكمة والدها. هل سيبدأ بالحديث معهم الآن، في غرفة الطعام الفارغة، أم أنه سيصطحبهم الى مكتبه المريح الواقع في الطرف الآخر من البهو؟

فجأة تقدّم منها بعض المدعوين يرغبون في أن يشكروها على هذا العشاء الذي اعدته.

قالت لورا وهي تبتسم لأحدى المدعوات:

«يجب أن تشكري الطاهية على ذلك كان يكفي فقط أن أوافق على قائمة الطعام التي وضعتها».

وفجأة تقلّصت معدتها، إذ رأت وزير العدل يصغي بانتباه الى أحد معاونيه بينما معاونه الاخر يتحدث مع مجموعة من المدعوين.

أين ذهب ديبغو؟

اعتذرت لورا من المدعوين المحيطين بها وابتعدت خلسة. كان الخدم يقدمون المشروبات المنعشة. ألقت نظرة الى غرفة الطعام، فلم تجد إلاّ الخدم يرتّبون المائدة.

تردّدت لحظة. هل هو في مكتبه؟ ربما ناداه أحد ليرد على الهاتف؟ في أكابولكو كما في مكسيكو لم يكفّ الهاتف عن الرنين.

اجتازت البهو وتوقفت أمام باب المكتب وراء باب ضخم. فلم تسمع أي صوت. وبعد ثانية من التردد، فتحت الباب.

كان ديبغو يحني رأسه على امرأة وجهها مليء بالدموع وهي تنتحب بين ذراعيه... إنها فرانسيسكا.

وأول إنسان استعاد وعيه كان ديبغو، الذي نظر بقسوة إلى لورا ثم قال لفرنسيسكا في لطف:

«اذهبي الآن، يا عزيزتي. سنتابع الحديث بعد قليل».

أحنت فرانسيسكا عينيها ومرّت أمام لورا واختفت من دون أن تقول كلمة. فتح ديبغو علبة موضوعة على المكتب وأخرج سيكاراً صغيراً أشعله بهدوء قبل أن يلتفت الى زوجته. وسألها في سخرية:

«اذاً، يا عزيزتي، أنت تطاردينني في عريني؟ لماذا هذا التطفل؟»

الغضب الذي شعرت به لورا ورؤيتها فرانسيسكا بين ذراعي ديبغو حلّ مكانه الانفعال. فقالت بلهجة جارحة:

«إني اهزأ من كل النساء اللواتي تعاشرهن، كما أني لا أهتمّ بالمدعوين الذين تتغاضى عنهم. غير أنني أشعر بصدمة إذ أراك تخلّ بوعدك بأن تتحدث الى الذين سيساعدوننا في إخراج أبي من السجن».

لم يرد ديبغو في الحال. تسمّر وجهه ثم نفض رماد سيكاره قبل أن يجلس الى مقعد جلدي أسود وراء مكتبه، ويقول بلهجة هادئة:

«لم أعدك بشيء من هذا النوع. لم أكن انوي أن أبدأ محادثاتي الليلة».

«لكنك أكدت لي...»

«لقد سبق وقلت لك ورددت ذلك على مسمعك مئات المرات، أنه في

بلادنا، هذا النوع من المبادرات لا يمكن الاقدام عليه إلاّ بكثير من الديبلوماسية. وليس مسلكا سليماً أن أفتح هذا الموضوع مع رجال مدعوين الى مائدتي الآن».

فقدت لورا سيطرتها وخبطت على المكتب وصرخت في صوت هستيري:

«لا أبالي قطعاً بهذه الانظمة واللياقات إذا كنت لا تريد أن تكلّمهم الآن، فسوف أكلمهم أنا».

أسرعت في الخروج، لكنها ما كادت تصل الى الباب حتى أمسكها ديبغو في معصمها بعنف وأدارها نحوه وقال ووجهه أبيض من الغضب:

«أمنعك من إحراج المدعوين. هل تسمعين اصعدي الى غرفتك في الحال. سأعتذر لهم عنك. ونتحدث في الامر في وقت لاحق».

فقالت:

«قبل أو بعد محادثتك الصغيرة مع فرانسيسكا؟ يبدو لي أن سهرتك حافلة بأمور كثيرة».

رفع يده عنها وتراجع خطوة الى الوراء، وقال بهدوء:

«لا أرى لماذا أكن لك الاخلاص!»

فقالت في تحدّ:

«وانا، لا ارى لماذا لا أتولى الدفاع عن قضية والدي، شخصياً!»

فصرخ وهو يحملها كالريشة ويتوجه بها نحو السلم المكسو بالسجاد الأحمر الذي يصل الى الطابق الأول:

«هنا، أنت في منزلي، أيتها المرأة الشرسة، ستفعلين ما أقوله لك».

صفعته لورا بقوّة وصرخت:

«اذاً، تقول إني امرأة شرسة! لكنك لم تر أو تسمع شيئاً مني، بعد، انتظر لترى».

فقال وهو يضع يده حول ظهرها ويصعد بها السلم:

«الآن تجاوزت جميع الحدود!»

توقفت لورا عن التخبط، ليس لأنها مكبّلة، بل لأن انفعالاً غير منتظر اجتاحها كلياً. فقد شعرت بصدر دييغو المضغوط على صدرها. تكفي رائحة عطره حتى تغيب عن وعيها.

حملها من دون أي جهد ظاهر حتى السرير ووضعها بلطف. وقال بصوت يلهث وهو يحدق فيها بشراسة:

«المطلوب منك أن تبقي هنا حتى ينصرف المدعوون. هل فهمت؟ سأعود فيما بعد».

نظرت اليه وهي مخدّرة بالانفعال ولم تكن قادرة على أن تنطق بكلمة. خرج دييغو وأقفل عليها الباب بالمفتاح.

فهمست بصوت متقطع:

«آه، يا إلهي! هذا مستحيل، إني احبه! لا، هذا مستحيل».

يا لغرابة الأمر... قبل دقيقة كانت تكرهه، والآن... انها تريده بجنون. لم يعد الامر بمثابة رغبة سبق وشعرت بها في أكابولكو. لا، إنها تريد أن تصبح زوجته بما في هذه الكلمة من معنى. أن تكون المرأة التي كان يحلم بها منذ الأزل، أن تكون في الوقت نفسه، العشيقة، والزوجة وربة بيته وأم اولاده...

لماذا استغرقت كل هذا الوقت كي تكتشف حقيقة عواطفها؟ كان

لديها العديد من الاسباب لتحبه. شكله الخارجي يعجبها. وهذا تعرفه منذ وقت بعيد. ثم، اعجبت بالاهتمام والعناية والاحترام لموظفيه وحتى لخدمه. كذلك الاحترام والمحبة اللذين يكنهما الجميع له. فضلاً عن الاهتمام بمساعدة والدها. لماذا أضاعت كل هذا الوقت الثمين لتقاوم هذا الانجذاب الخداع؟

ربما لم يفت الامر! صحيح إنها رأته منذ قليل يعانق فرانسيسكا. لكن هذه الاخيرة عادت من فرنسا منذ فترة وجيزة. والامور بينه وبينها لم تتطورّ بعد. وعندما يكتشف دييغو أنها تحبه، يمكنها أن تستعيده...

وفي الباحة الواقعة تحت النوافذ، سمعت فجأة ضجيج أصوات وضحكات وأبواب تصفق ومحركات سيارات تقلع.

تحمّست لورا ونهضت من سريرها وخلعت بسرعة فستانها الاخضر الذي ارتدته للعشاء، وفتحت باب خزانتها، وبعد أن أمضت وقتاً لا بأس به تتأمل العدد الهائل من قمصان النوم المعلّقة، وقع اختيارها على قميص نوم شفّاف من قماش ناعم، عربون البراءة، كما سيكتشف دييغو ذلك.

بدأ قلبها ينبض بسرعة. نظرت الى المرآة وأعجبت بنفسها وبوجهها الاحمر وعينيها اللامعتين المتلهفتين. فكّت كعكة شعرها فانسدل على كتفيها ثم راحت تسرحه. ثنت غطاء السرير وأطفأت الانوار تاركة ضوء قنديلين من كل جهة من السرير.

آه كم كانت تكره هذه الغرفة، وأثاثها الاسباني الضخم وجوّها المخنوق. والآن كل شيء مختلف وهي تستعد أن تتقاسمها مع

ديبغو... لكن لماذا تأخر ديبغو في الحضور؟ لقد وعدها بأن يوافيها متى ذهب المدعوين. ساورها القلق فاقتربت من احدى النوافذ وأزاحت الستائر قليلاً. ربما قرر ديبغو أن يحدث وزير العدل في قضية والدها.

لم يكن هناك أية سيارة أمام المنزل، سوى سيارة المرسيدس التي تلمع تحت ضوء المصابيح الكهربائية التي تنير الساحة كضوء النهار. ثم لمحت شبح ديبغو واعتقدت لورا أنّ قلبها سيتوقف عن الطرق. كان يتأبط ذراع امرأة ترتدي معطفاً أبيض.

وما أن وصلا امام السيارة، حتى أخذها بين ذراعيه. رفعت المرأة وجهها نحوه. إنها فرانسيسكا.

ولما انحنى رأس ديبغو على وجه فرانسيسكا، أطلقت لورا نحيباً عنيفاً وأقفلت الستائر.

لا شك أنّ باب غرفتها قد انفتح في وقت معيّن من الليل. وعندما أفاقت لورا كانت تريزا الخادمة قد وضعت صينية الفطور على طاولتها. وباصبعها لمست ابريق القهوة الذي ما زال فاتراً. فقفزت من السرير وتوجهت الى الستائر تزيحها لتدع النور يدخل إليها. ونظرت الى ساعة الحائط المعلقة فوق المدفأة: إنها الساعة التاسعة والربع. كيف كان بامكانها أن تنام طويلاً وبهذا العمق بعدما أمضت جزء كبيراً من الليل تبكي وتنتحب؟

ولمّا نظرت الى نفسها في المرآة عرفت مدى حزنها وتعاستها. عيناها متورمتان وملامحها الناعمة متشوشة. فدخلت الى الحمام ووضعت وجهها في الماء البارد مدة طويلة. ولما عادت الى غرفتها، استعادت

بعض وعيها. القهوة الفاترة تساعدها على أن تستيقظ تماماً.

لكنها لم تكفّ عن التفكير فيما حصل: لم يعد ديبغو قبل الفجر لأنها لم تسمع صوت محرك سيارته، ما دامت لم تخلد الى النوم الاّ في الفجر. ولحسن حظها فان ديبغو لا يمكنه أن يعرف أنها انتظرته في تلهف العروس، ليلة زفافها. يكفي ما تشعر به من ذلّ واهانة بعدما عرفت أنه بقي مع فرانسيسكا بدل أن يعود الى غرفته كما وعدها.

سكبت لنفسها فنجاناً آخر من القهوة وذهبت تجلس في أحد المقاعد قرب الموقد.

لا شك أنه عاد خلال الفجر، وإلاّ لما كان في وسع تريزا أن تدخل الى غرفتها حاملة صينية الفطور، إلاّ إذا ترك المفتاح في القفل. وهل الخدم اغبياء هنا، يكفي أن تنظر تريزا إلى السرير لتعرف أنها نامت وحدها في هذا السرير الضخم.

وفي يأس نظرت لورا الى السرير الذي تأمل من كل قلبها أن تتقاسمه مع زوجها. للأسف لقد فات الاوان. سئم ديبغو هذا الزواج الابيض. وحبّه القديم لفرانسيسكا سرعان ما عاد الى الحياة من جديد. كما أنّ هذه المرأة المكسيكية الجميلة أصبحت حرّة.

بدأ الدمع يترقرق في عينيها، عندما سمعت طرقاً على الباب. فانتفضت فجأة ونهضت. انفتح الباب. وظهر على عتبته ديبغو في بذلته الرمادية وقميصه البيضاء، وربطة عنقه ذات اللونين الاحمر والرمادي.

نسيت لورا كلياً قميص نومها الشفاف الذي كانت ترتديه وراح ديبغو بكل وقاحة يتأمل جسمها النحيف الظاهر تحت القميص.

احمرّت لورا خجلاً وراح قلبها ينبض بسرعة جنونية. لا شك أنه يقارن نحافتها بجسم المرأة التي أمضى الليل معها.

سألها فجأة:

«هل أنت تعيسة جداً، يا حبيبتي؟»

مسحت الدموع بطرف يدها وأجابته بلهجة لاذعة:

«تعيسة. انا؟ لماذا أكون تعيسة؟ تزوّجت من رجل ثري وقادر، ووالدي متهم خطأً بتجارة المخدرات، فلماذا أكون تعيسة؟»

«لورا، لقد وعدتك...»

قاطعته في شراسة وهي تتوجّه الى الخزانة لتضع متزرها:

«حافظ على وعودك لفرانسيسكا!»

«فرانسيسكا؟»

ظهرت الدهشة على وجه دييغو الى درجة أن لورا كادت أن تستسلم لو لم تره بعينيها خارجاً ليلة البارحة مع هذه المرأة المكسيكية الرائعة.

ردّدت وهي تبكل أزرار متزرها:

«نعم، فرانسيسكا!»

تقدّم دييغو خطوة منها وقال:

«سأشرح لك...»

قالت له بصوت جارح وهي تجلس أمام منضدة الزينة لتسرح شعرها:

«لا أطلب منك أي شرح. إني ارغب في شيء واحد، وهو معرفة متى يمكن لأبي ولي أن نغادر هذا البلد اللعين!»

قال لها في جفاء:

«جئت لأقول لك، إني على موعد مع جوزيه بيريز، وزير العدل، في الساعة الحادية عشرة».

«آه!»

توقّفت لحظة عن تسريح شعرها ثم أضافت:

«حسناً. تخبرني عن نتائج اللقاء في أكابولكو. لأني أنوي السفر الى هناك في الطائرة المسافرة ظهراً».

ران صمت فيه تهديد. تمالكت لورا نفسها فلم تقذفه بالاتهامات التي ظلّت تردّدها طيلة تلك الليلة البيضاء، التي أمضتها وهي تنحب باكية على وسادتها. اخيراً سألها:

«هل أنت ذاهبة الى أكابولكو؟»

أجابت بمرارة وهي تلتفت اليه:

«ليس عندي خيار آخر. إني من دون عمل وبالتالي ليس معي نقود. إني مضطرة لأن اتكّل عليك إلى أن اصبح قادرة على الاتصال بيرانت».

خيّل اليها أنه سينفجر غضباً مثلما حدث مساء أمس. لكنها تجاوزت حدود الخوف. كانت مستعدة لأن ترضى بأن يخنقها غضبه. لم يعد هناك طعم للحياة ما دام لا يحبها.

قال وهو يستعيد برودة اعصابه:

«حسناً. سأتصل بك. وفي الوقت الحاضر سأحجز لك مكاناً في الطائرة. إنك لم تحجزي بعد، على ما أظن!»

«لا».

تناول دييغو سماعة الهاتف وأجرى الاتصال اللازم. قال لها قبل أن يتصل بفيللا جاسينتا:

«لقد حجزت لك مكاناً».

ثم اعطى أوامره لجوانيتا ووضع السماعة وقال:

«ستعد جوانيتا كل شيء لتوصيلك. وسينتظرك غيبارمو في المطار».

«لا... سآخذ تاكسي. المطار ليس بعيداً عن الفيللا».

«أفضل أن يذهب غيبارمو لاستقبالك. فليس لديه أعمال كثيرة في غيابي».

لم تلح لورا عليه. كيف يمكن لدييغو أن يكون مطلعاً على اهتمامات غيبارمو. لقد شاهدت لورا هذا الشاب الجميل قبل زواجها بقليل. وكان على متن باخرة دييغو ولمحته يغازل إحدى السائحات. لو شاهده دييغو ذلك اليوم، لما سمح له بأن يقترب من زوجته.

كان دييغو قد وصل الى الباب عندما سألته لورا في صوت متوسل:

«ستتصل بي. أليس كذلك؟»

«طبعاً».

همست وهي تراه يخرج حالماً من غرفتها:

«شكراً».

قالت لورا لنفسها في غضب، لا شك أنه سيسرع في تحريك

الأمور، ليتخلّص منها ومن والدها، ثم يتزوّج من فرانسيسكا، هذه الأرملة الشابة الجذابة التي جاءت الى المكسيك لتلتقي حبها القديم.

٩ ـ حقيقة كالحلم

حسب الاتفاق، جاء غيبارمو لينتظر لورا في المطار. وخلال الطريق الى الفيلا، كانت تدرك إعجاب هذا الشاب المكسيكي بها. وخلال الاسبوعين اللذين تمضتها في الفيلا، خلال شهر العسل، كانت تلاحظ ذلك. لكن وجود دييغو الى قربها، منعه من إظهار إعجابه بوضوح. لكن نظراته بدت اليوم وقحة إلى درجة ظاهرة.

«استغرب كيف أنّ السينيور دييغو يدع زوجته الرائعة وحدها خلال هذه السفرة الطويلة...»

كانت مكسيكو تبدو لهذا الشاب في آخر الدنيا وهو الذي لم يغادر مدينة الحمامات الشهيرة. ابتسمت لورا بتحفّظ وقالت بلهجة مازحة:

«لا أظن أنّ بإمكان أحد أن يخطفني. كان السينيور دييغو على موعد مهمّ، صباح اليوم، فأوصلني سائقه الى المطار. وبعد ساعة سفر في الطائرة وسط مئات المسافرين، جئت أنت لاستقبالي. وإني أسألك ماذا يمكن أن يحدث لي؟»

وخلال الطريق، لم تكف لحظة عن التفكير بوالدها. المهم أن تتم

المحاكمة بسرعة. فهي لم تشكّ لحظة في براءته وهي التي سمعته مراراً يهاجم بعنف الذين يتاجرون بالمخدرات. فكيف يمكنه أن يورّط نفسه في مساعدة هذين الرجلين اللذين استأجرا منه اليخت.

آه، لو يتم القبض عليهما. لكان بالامكان انتزاع الحقيقة منهما. وبدا حتمياً أنّ والدها سيدفع الثمن مكانهما إذا استحال توقيفهما.

وصلت السيارة أمام ساحة الفيلا المحاطة بالخضار بمختلف أنواعها.

وما أن سمعت محرّك السيارة حتى خرجت جوانيتا الى عتبة المنزل لاستقبال معلمتها بحرارة وارتباك.

سألتها وهي تأخذ من يد لورا حقيبة الزينة بينما كان السائق يخرج حقيبتها الوحيدة من صندوق السيارة:

«هل سيأتي السينيور دييغو متأخراً؟»

فأجابتها باختصار:

«نعم، سيلتحق بي قريباً. لديه مواعيد عمل مهمة».

فتحت جوانيتا الحقيبة التي وضعها كارلوس على طاولة صغيرة وأطلقت زفرة عميقة وقالت:

«آه، الواجب بالنسبة إلى السينيور دييغو قبل أي شيء آخر. عندما كان صغيراً كان يعرف معنى المسؤوليات. كان يكبر أخاه بسنتين فقط ويهتم به اهتماماً مسؤولاً. لكن جيم كان مختلفاً. يحب المرح والضحك، ولا يرى في الحياة غير حسناتها».

توقفت لحظة عن الكلام ثم تابعت:

«كان عمر السينيور دييغو أربعة عشر عاماً عندما فقد والديه. وبعد

ذلك كانت تأتي السينيورا جاسينتا لتمضي مع حفيدها العطلة. في أي ساعة تحبّين تناول العشاء، يا سينيورا؟»

«آه، في الثامنة والنصف، يا جوانيتا. لكني سأتناول فنجان شاي في الصالون الصغير بعد القيلولة. وبعدها سأخرج لفترة قصيرة».

قالت جوانيتا مقطّبة حاجبيها:

«هل تحتاجين الى غييارمو ليوصلك الى مكان معين؟»

«كلا. سأقود السيارة بنفسي».

لم ترحّب جوانيتا بقرار معلمتها الخروج وحيدة. لكن لورا تجاهلت الأمر، فهي لا تريد أن تدع أحداً يعرف بوجود والدها في السجن المحلي.

سألت لورا:

«هل هناك أي رسائل لي؟»

«كلا، سينيورا».

لم يرد برانت على رسالتها وهي لا تستغرب ذلك. في الحقيقة لم تكن مصرّة على أن تتلقى منه رسالة. فهي لم تشعر تجاه خطيبها القديم سوى بالمحبة. وهذا الاحساس لم يكن واضحاً إلاّ الآن. إنّ دييغو وحده يملأ عالمها. وحده قادر على أن يشعرها بمداعباته وملامساته الحنونة.

وتساءلت وهي ممدّدة على السرير: لماذا ما تزال تتذكّر مشاهد الحب مع دييغو بعد أن تهدم كلّ شيء بينهما؟ وبرغم تصميمها على ألاّ تفكّر فيه، لم تستطع أن تمتنع عن التفكير بتلك الليلة التي كادت أن تستسلم فيها نهائياً.

«عفواً سينيورا! الهاتف!»

التفتت لورا وقالت نصف نائمة:

«ماذا هناك؟»

«الهاتف، سينيورا! إنها الشرطة!»

نهضت لورا من سريرها مرتجفة وردّدت:

«الشرطة؟ سأرد من هنا».

وبرغم صدمتها، ظلّت منتظرة الى أن أقفلت جوانيتا سماعة الهاتف في البهو قبل أن تعطي اسمها:

قال صوت رجل:

«العفو، سينيورا. أريد التحدث مع السينيور راميريز».

«ليس هنا. إنه في مكسيكو، ولكنني...»

«لو تفضلت أن تقولي لي أين استطيع الاتصال به يا سينيورا».

فقالت متوترة:

«إذا كانت القضية تتعلق بوالدي، دانييل ترانت، فيمكنك أن تقول لي ما الأمر».

ضغطت على أسنانها عندما أصرّ المتكلّم على معرفة رقم هاتف دييغو، وعلى مضض أعطته رقم المنزل ورقم المكتب. ثم أضافت:

«كنت على وشك الذهاب لزيارة والدي. لا شك أنّ بامكانه أن يشرح ما يجري من الامور...»

«لا أنصحك بالمجيء، سينيورا...»

«كيف؟ لن تمنعني من القيام بزيارته!»

«لا داعي أن تنزعجي، سينيورا راميريز إن السينيور ترانت... لم يعد

هنا».

حدّقت لورا بالساعة في توتر وقالت:

«إنني... لا أفهم. لا يمكن أن يكون قد نقل بهذه السرعة؟»

«بلى. لقد ذهب».

احتلها فرح كبير. هي التي كانت تشكو من بطء القانون والعدالة المكسيكية! لقد تحدّث ديبغو مع وزير العدل منذ قليل، وها هو والدها ينقل الى مكان آخر، ربما الى مكسيكو، من أجل محاكمته.

فقالت قبل أن تضع السماعة جانباً:

«شكراً سينيور. شكراً جزيلاً».

لم يطل فرحها إلاّ لحظة... إنّ محاكمة والدها وتبرئته، ستؤديان الى مغادرتها المكسيك أو بالأحرى إلى الطلاق. من الأفضل ألاّ تفكّر في الأمر.. إنّ ديبغو يريد فرنسيسكا.

ومن النافذة ألقت نظرة سريعة الى الساحة. البحر يرفع أمواجاً عالية، تفقش على الصخر وتظهر رغوة بيضاء. تذكّرت لورا أنّ ديبغو حذّرها من السباحة على هذا الشاطىء الخطر. لكن لماذا لا تذهب لأكتشاف الشاطىء الجنوبي؟ إنها الفرصة الوحيدة. فستغادر الفيللا عماً قريب. لا شك أنّ عليها الانتظار يوماً أو يومين قبل أن تعرف الى أين نقل والدها.

أخرجت من أحد الجوارير زي سباحة. لا داعي للقبعة، فستحتمي تحت أشجار جوز الهند العالية.

دقّت الجرس لجوانيتا التي حضرت في الحال.

«لن اتناول الشاي في المنزل، فقد قررت الذهاب الى شاطىء البحر،

وسآخذ معي عصير الليمون».

سألتها الخادمة وهي معجبة بقامتها النحيفة الظاهرة تحت سترة البحر القصيرة:

«ألن تأخذي السيارة؟»

قالت لورا وهي تبحث عن كتاب صغير بدأت قراءته في الطائرة:

«لقد غيّرت رأيي في الأمر».

«هل هناك شيء خطر؟»

فوجئت لورا والتفتت نحوها.

«المكالمة الهاتفية... الشرطة...»

«آه لا. لا شيء. كانوا يريدون أن يتكلّموا مع السينيور ديبغو، وشرحت لهم أين يستطيعون الاتصال به».

«هكذا اذاً».

اطمأنت جوانيتا وذهبت الى المطبخ تعدّ العصير المطلوب، بينما كانت لورا تضع داخل حقيبة البحر، منشفة وكتاباً وأنبوب زيت. ثم حملت الحقيبة على كتفها وتوجّهت الى الشاطىء.

سبحت لورا طويلاً في مياه البحر الفاترة، ومن وقت الى آخر كانت تعوم على ظهرها في فرح، مغمضة العينين.

وبعد نصف ساعة من السباحة، عادت الى الشاطىء الرملي حيث إبريق العصير المثلج في انتظارها. تمدّدت على بساط البحر وراحت تشرب العصير ببطء، وهي تتأمّل المنظر الرائع الذي لن تراه بعد الآن. وكانت تحاول أن تحفر في ذاكرتها الرمل الناعم الأبيض والبحر

الأزرق والأخضر، وأشجار جوز الهند العديدة المحمّلة بالثمار الناضجة تحت الأوراق الخضراء الغامقة.

ثم تمدّدت وأغمضت عينيها تحت أشعة الشمس البرّاقة.

فجأة مرّ ظل بينها وبين الشمس، فخفق قلبها بسرعة وفتحت عينيها. ولثانية اعتقدت أنها ترى دييغو في قميصه البيضاء القطنية وبنطلونه الجينز الضيّق. فجأة شعرت بصدمة عندما شاهدت غييارمو.

سألته وهي تنتصب في حركة سريعة محاولة تناول سترتها:

«ماذا تفعل هنا؟»

«ارسلتني جوانيتا لأرى ما إذا كنت بحاجة إلى شيء ما».

«لا تبدأ في سرد القصص! لديّ كل ما أريد وتعرف جوانيتا ذلك تماماً».

انحنى غييارمو ليجلس قربها، ثم نظر اليها بوقاحة قائلاً:

«لا شك أنها لاحظت مثلي بعض الأشياء. لقد تزوّج السينيور دييغو من امرأة جميلة جداً يمكن أن يفتخر بها أيّ رجل. ومع ذلك فهو يبتعد عنها زارعاً الحزن في عينيها. إني أعرف ذلك يا سينيورا. لقد سبق وقرأت هذا التعبير على وجه النساء اللواتي يأتين الى أكابولكو من دون ازواجهن».

قفزت لورا واقفة وقالت في غضب:

«لا أستغرب ذلك. لكنك تعتبرني مثل السائحات اللواتي تلتقيهن على الشاطىء إذا قلت لزوجي...»

همس غييارمو بصوت شهواني مقنع:

«لا حاجة لك لأن تقولي له شيئاً؛ إنني اعرف أن أجعل النساء سعيدات، يا سينيورا، ويمكنك أن تثقي بي تماماً».

صرخت لورا:

«إذا كنت مصرّاً على الاستمرار في موقفك فسأنادي كارلوس».

لكنّها قبل أن تنفّذ ما هدّدت به، أمسكها غييارمو بذراعها وجذبها بشدّة نحوه ضاغطاً بيده على فمها حتى يمنعها من الصراخ.

راحت تقاومه بصمت. كانت تقاوم بكل قواها وتمكّنت للحظة من أن تفلت من قبضته، وفتحت فمها لتصرخ، لكنه ارتمى عليها مانعاً مقاومتها وشعرت بالغثيان آملة أن يأتي كارلوس أو جوانيتا لينقذاها.

كادت أن تفقد وعيها تحت قوّة جسده عندما وجدت نفسها فجأة تسقط على ركبتيها وقد ابتعد عنها غييارمو والدم ينزف من انفه. وسرعان ما سمعت شتائم بالاسبانية مما جعلها ترفع رأسها. إنه دييغو، يرتدي بذلة الصباح، وكان شاحب اللون من الغضب.

ارتمت بين ذراعيه وراحت تبكي وتنتحب:

«آه، دييغو! إني خائفة جداً».

التفت دييغو ليلقي نظرة الى خادمه ثم صرخ:

«اختف من هنا في الحال، سأراك في السفينة بعد قليل».

ثم التفت الى لورا وحدّجها بنظرة غاضبة بينما كانت ترتجف بين ذراعيه. فقال وهو يبعدها عنه في حنان:

«إنّ منظرك غير لائق وردّة فعل هذا الولد عند رؤيته امرأة جميلة نصف عارية على شاطىء مهجور، ليست مستغربة».

أجابته لورا وقد استشاطت غضباً:

«بلادك بلاد البرابرة».

كان دييغو يحدّق فيها بنظرات غريبة وتساءلت في قلق ماذا يدور في خلده في الوقت الحاضر. وعندما رأته يخلع سترته وربطة عنقه ويفك أزرار قميصه، تثاءبت وسألته:

«ماذا تفعل؟»

«هذا طبيعي، أليس كذلك؟ هذا سيعلّمك كيف تثيرين الرجال. لست سوى امرأة مثيرة».

ألقى بثيابه جانباً. ركضت لورا نحو السلّم الحجري، لكن دييغو لحق بها وحملها بين ذراعيه. تلاشت وحدّقت فيه متوسلة. صحيح أنها أرادت دييغو وتريده دائماً، لكنها لا تريد علاقة ناتجة عن غضب ورغبة بحتة. وقبل كل هذا كيف تنسى المرأة المكسيكية السمراء، فرانسيسكا...؟

همست:

« دييغو، لا، أرجوك!»

تصرّف كأنه لم يسمع شيئاً. وضعها في لطف على أريكة الشاطئ، وراح يتأمل جسمها الجميل المرتعش وهي كانت تقول:

«دييغو، لا...»

لكنّ عينيه كانت تقولان أشياء جعلتها تتخلّ على أية مقاومة وتستسلم. قال وهو يعانقها:

«لم أعد استطيع احتمال تهربك».

ليس هناك كلمات تستطيع أن تصف الأحاسيس التي شعرت بها

من جراء مداعباته البارعة. كانت تداعبه بشعره الأسود وتلثم عنقه.

بعد هذه اللحظات الرائعة التي عاشتها، رفعت عينيها الخضراوين البراقتين وشاهدته ينظر اليها، بسحر ويهمس وكأنه لا يصدّق:

«يا إلهي. لقد أكدت لي أنّ... اوه... برانت وأنت...»

«أه، دييغو، هذا لأنه... لم أكن أعي تماماً... انني...»

وبينما كانت تحاول أن تشرح له بصعوبة، أنها كانت تقاوم منذ البداية هذا الحب الذي كانت ترفض الاعتراف به، كانت تسمع عويل الرياح في أوراق شجرة جوز الهند التي كانت تحميها من أشعة الشمس. ولبرهة قصيرة شاهدت دييغو يرفع رأسه فجأة في استغراب ويمدّ يده في حركة دفاع... ثم تلقت صدمة عنيفة أفقدتها وعيها.

١٠ ـ عتمة الذاكرة

فتحت لورا عينيها وكان أول ما لمحته زهور البنفسج الرائعة. مضى وقت طويل قبل أن تلمح من بعيد شبحاً أبيض كأنه ضباب كثيف.

أرادت أن تصرخ، لكنّ الصوت لم يخرج من حلقها الجاف. إن مثل هذا الجهد البسيط كاف لأن يحفر دماغها في ألم عميق. وبشبه غيبوبة راحت تنتحب.

همس صوت في لغة لم تعرف ما هي برغم انها فهمت المعنى من دون صعوبة:

«شكراً يا إلهي: هل تريدين شيئا ما، يا ابنتي؟»

قالت لورا في صوت ثقيل إنها تشعر بالعطش. فاختفت الممرضة لتعود حاملة قدحاً مليئاً بعصير البرتقال المثلج وقالت:

«سيفرح زوجك كثيراً لأنك استعدت وعيك».

أجابت لورا مقطبة الحاجبين:

«طبعاً، يا صغيرتي. إنه قلق عليك».

«زوجي هل أنا متزوجة؟».

وكأن الممرضة تذكرت أن لورا لا تعرف اللغة الاسبانية، فقالت

لها بالانكليزية:

«سأزف اليه الخبر السار وأطلب منه أن يحضر لرؤيتك».

«انتظري، أرجوك، من ستحضرين... إنني لا أتذكر أحداً».

«أنت زوجة السينيور راميريز وهو شخصية بارزة في المكسيك».

المكسيك... ماذا تفعل هنا في المكسيك؟ هل هي متزوجة من رجل مكسيكي؟

أضافت الممرضة:

«تعرّضت لحادث على الشاطىء القريب من فيللا جاسينتا».

حادث؟ في فيللا جاسينتا. هزّت لورا رأسها في حيرة وارتباك. ومن جديد عاد الألم العنيف يعصر صدغيها.

«إنني... إنني لا أتذكر شيئاً».

«لا تقلقي، سينيورا. هذا شيء طبيعي بعد صدمة كهذه. لا تتحركي سأقول لزوجك إنك استعدت وعيك».

وضعت لورا يدها على أكمام الممرضة وهمست:

«أرجوك. أخبريني أولاً عن الحادث».

أن تلتقي زوجاً لا تعرفه فكرة ترعبها. من هو؟ من يشبه؟ ما عمره؟ وهي، من هي؟

«كنت ممددة على الشاطىء، سينيورا، تحت شجرة جوز الهند المحملة بالثمار الناضجة. إن ثمرة واحدة بامكانها أن تحطم رأسك...»

«و... هذا ما حدث لي؟»

«من حسن حظك أن زوجك كان معك في هذه اللحظة. وقد تمكن أن يخفف من حدة الصدمة. والآن سينيورا، سأذهب لآتي به. لم تستطع

أن نقنعه إلاّ اليوم بأن يخلد الى الراحة. لكننا وعدناه بأن نوقظه متى استعدت وعيك».

وعندما اختفت الممرضة راحت تحاول التركيز تلاحقها عشرات الاسئلة التي لا تعرف لها جواباً. منذ متى وهي متزوجة من مكسيكي؟ لا شك أنه يحبها كثيراً لأنه رفض أن يبتعد عنها... كان عليها أن تطلب من الممرضة مرآة قبل أن تدعها تذهب لتأتي به. لا تعرف كيف ملامحها. هل لون عينيها أزرق أم أسود. رفعت يدها لتلمس خصلة من شعرها لمعرفة لون شعرها. لكن شعرها كان مختفياً وراء ضمادات تلف كل رأسها. وعندما لمست جبينها، شعرت بألم عنيف.

فجأة، انتفضت. لقد دخل الى غرفتها وبقي جامداً قرب السرير. كان ممشوق القامة، أسود الشعر، أسمر البشرة، في الثلاثين من العمر، يرتدي قميصاً بأكمام قصيرة وبنطلون جينز ووجهه متعباً. كان ينظر اليها في قلق ويهمس في صوت مبحوح وهو يضع يده على يدها:

«لورا».

هكذا اذاً، إنها تدعى لورا. اعجبها الاسم. وما اسم زوجها. قالت لها الممرضة منذ قليل عن اسمه. آه صحيح...

نهمست:

« ديغو».

سألها وفي عينيه ومضة أمل:

«هل عرفتني، يا حبيبتي»

هزّت رأسها قليلاً وقالت:

«الممرضة هي التي أعطتني اسمك»

ولاحظت الضمادات التي تحيط بمعصم زوجها، فسألته:

«هل جرحت؟»

«هذا لا شيء»

«هل حصل هذا في الحادث الذي تعرّضت أنا اليه. لقد قيل لي إنك خففت من حدة الصدمة وإلا لكنت الآن من عداد الأموات...»

«هذا الحادث هو بسببي أنا. وغلطتي لا تغتفر. كان عليّ أن أعرف...»

توقّف عن الكلام وجلس على السرير. إن دماغ لورا يرفض أن يعمل بصورة طبيعية. لم تحاول أن تعرف ماذا يعني في كلامه. فقالت بصوت خافت:

«منذ متى وأنا غائبة عن الوعي؟»

«منذ ثلاثة أيام».

أخفض رأسه فإذا بلورا تشد على قبضته وتقول بلطف:

«إذاً لا شك أنك مرهق جداً. قالت لي الممرضة إنك لم تبارح غرفتي طيلة هذا الوقت».

«سيحضر الطبيب قريباً جداً. وسأراك بعد أن ينتهي من معالجتك».

توقّعت أن ينحني ليقبّلها. لكنه ابتعد في خطى سريعة تاركاً اياها في خضم الحيرة والقلق.

لماذا يبدو هذا الزوج الذي أشرف على الاعتناء بها ثلاثة أيام متوالية مستعجلاً في التخلّ عنها؟

كانت لورا تنثر فتات الخبز وهي تتناول فطور الصباح على الشرفة المليئة بالزهور وهي تنظر في حنان الى العصافير الصغيرة المتعددة الألوان التي حومت حول المأدبة لتلتقط كسرات الخبز في فرح.

قال لها ديبغو في توبيخ ناعم:

«إنك تدلّلين العصافير يا حبيبتي»

«إنها عصافير جميلة».

عادت للجلوس قرب زوجها وتناولت أبريق القهوة وقالت:

«إنها كالأولاد الصغار، لا تستطيع أن نرفض لهم أي شيء. هل تريد؟»

سألها وهو ينتفض:

«ماذا. أريد ماذا؟ أولاد».

«لا. يا حبيبي، هل تريد بعض القهوة؟»

«آه. نعم. بكل سرور...»

ثم عادت تقول وهي تسكب له فنجان قهوة:

«إنجاب الأولاد فكرة حسنة، أليس كذلك؟ ما رأيك؟»

قطّب حاجبيه وقال:

«لقد اتفقنا على أن نتجاهل هذا الموضوع، في الوقت الحاضر، الى أن تتحسن صحتك».

تناول ديبغو سيكاراً وأشعله فأجابت لورا قائلة:

«نعم، كنت متفقة معك على هذه الفكرة، لكن...»

نهضت بعصبية وأسندت ظهرها الى حجارة الشرفة وحدّقت في المنظر الرائع أمامها، ثم أضافت تقول:

« ديبغو؟»

«نعم؟»

«لنفرض أنني لن استعيد ذاكرتي أبداً؟»

«الأطباء يعرفون تماماً أن حالتك ستتحسن، لكنها بحاجة الى بعض

الوقت».

انفجرت صارخة:

«الوقت لقد مر شهران وأنا على هذه الحال! لم استعد من الذكريات الا صورة اليخت الراسي على الشاطىء، وصورة الراهبات في ذلك الدير».

قال ديبغو في حذر وهو ينفض رماد سيكاره في المنفضة:

«لقد ترعرت وتعلّمت في الدير».

«لماذا لا تساعدني لأستعيد ذكرياتي وبالتالي ذاكرتي كلّها».

نهض ديبغو متجهاً نحوها ثم وضع أصابعه على ذراعها وقال:

«نصحني الأطباء بالاّ استعجل الامور. وأنت تعرفين ذلك جيداً. من الأفضل أن تستعيدي ذاكرتك بصورة طبيعية».

«وهل نصحك الأطباء أيضاً بأن تنام في غرفة منفصلة عن غرفتي؟»

كانت تنظر اليه في تحد. فشاهدت تقلّص وجهه حين قال بعد أن سحب يده من ذراعها:

«لا. هذا القرار اتخذته بنفسي. يجب أن أذهب الآن كيلا تفوتني الطائرة لدي مواعيد كثيرة بعد ظهر اليوم في مكسيكو»

تبعته حتى الغرفة التي ينام فيها وقالت:

«ألا يمكنني أن أرافقك، ولو لمرة واحدة».

التفت ديبغو اليها وهو يضع أوراقه داخل حقيبة سفره وكان يبدو منزعجاً:

«من الأفضل أن تبقي هنا بعض الوقت ريثما تتحسّن صحتك».

ليست المرة الأولى منذ الحادث يرفض فيها طلبها. وفجأة قالت

«هنا. أليس كذلك؟ وهكذا لا يتسنى لي أن أرى عشيقتك!»

أغلق حقيبته واقترب منها وقال في جفاف:

«إنني أذهب الى مكسيكو لأداء بعض الأعمال. وليست لديّ أية عشيقة. فانتزعي هذه الفكرة من رأسك».

هذا العذر، هل سبق وسمعته قبل الحادث؟ كيف لها أن تعرف إنها ترغب في أن تسدّ اذنيها كيلا تسمع أي شيء بعد الآن... هل باستطاعة ثمرة جوز الهند أن تزعزع دماغها الى هذه الدرجة؟ هل كان دييغو دائماً يتصرّف معها كصديق أكثر منه زوجاً؟ لا. هذا مستحيل. فهي تشعر كأنها كانا متفقين ومندمجين روحياً وجسدياً.

همست لورا في الوقت الذي كان دييغو يقترب منها كالعادة ويقبّلها في جبينها:

« دييغو...»

«ماذا؟»

«ألا تعتقد أن صحتي تتحسّن بسرعة لو... لو... كانت علاقتنا طبيعية مثل قبل الحادث إني متأكدة من ذلك».

غمز بعينيه وهو يتأمل وجهها الأحمر وسألها فجأة:

«كيف تعرفين ذلك؟»

«كيف؟ لكني أشعر بذلك. أنت زوجي. وماذا يمنعني من أكون طبيعية معك؟»

صمت برهة ثم أطلق زفرة عميقة وقال بصوت حنون وهو يداعب شعرها:

«ما من أحد يستطيع منعك. وأنا أيضاً، يا لورا، كنت ارغب في ذلك.

لم يكن سهلاً مقاومة رغبتي باللحاق بك الى غرفتك».

صرخت:

«لا أفهم. ليس هناك أي خطر. أني بصحة جيدة. اذاً، لماذا؟»

«سنبحث الأمر، بعد عودتي...»

إنها تعرف دييغو الآن بما فيه الكفاية. وتعرف أنه متى اتخذ قراراً ما، فلن يعود عنه بسهولة.

عندما أصبحت لوحدها، راحت تفكّر بمصيرها. وحده زوجها يمكنه أن ينسيها الشكوك التي تراودها باستمرار منذ وقوع الحادث. لقد أخبرها دييغو أنها فقدت والديها. لكن لا بد أن لها قصة، أو مهنة، أو أصدقاء، أو معارف، أو أقرباء... لا أحد يعرف عنها شيئاً. لا شك أنها انفصلت عن الجميع بعدما تزوّجت. آه لو يساعدها زوجها على إعادتها الى الطريق الصحيح بدل أن تكتفي بانتظار مشيئة القدر!

شعرت بالتعب فتمدّدت على السرير الضخم الذي يشعرها بالضياع طيلة الليل. وراح عقلها يشتغل بقوة. هل لدى دييغو عشيقة في مكسيكو؟ وتذكّرت أنها قرأت مرة أن المكسيكيين ليسوا مخلصين لزوجاتهم. و دييغو هو رجل جذاب ومثير. وقليلات من النساء القادرات على مقاومته.

الذي، إنه الماضي. إنها الآن متزوجة! وهي تحب زوجها. وهل هناك ما هو أفضل من ذلك الحب. إن ثمة طرقاً تساعدها على اقناعه بضرورة مشاركتها حبها. نعم. ستحاول أن تجذبه اليها بطريقة أو بأخرى.

في الأيام الثلاثة التي تلت ذهاب دييغو عملت لورا بكل

نشاط وحيوية. ومساء عودته كانت الفيلا على استعداد لاستقباله. وضعت لورا على الطاولة شمعداناً يضيء المكان. وكانت لورا تبدو في شعرها الأشقر المنسدل على كتفيها وفستانها الأبيض الضيق، في اناقة وجمال تامين.

وبعدما ألقت نظرة خاطفة على الطاولة، نظرت بعينين برّاقتين الى الخادمة وقالت:

«عندما يصل السينيور ديبغو، نأخذ المقبلات في الصالون الصغير. وسيكون أمامك متسع من الوقت لأن تنهي العشاء».

قالت لها المرأة في فرح:

«لا تقلقي يا سينيورا. إن السينيور يقول لي دائماً انه سيصطحبني يوماً ما الى مكسيكو لأعلم الطاهي الفرنسي اعداد المآكل المكسيكية».

وفي تلك اللحظة، دقّ جرس الهاتف، فتناولته جوانيتا من المطبخ. قالت لورا لنفسها: كل شيء جاهز لهذه الليلة التي ستكون مليئة بالسحر والاثارة. الأضواء الناعسة... الطعام المفضّل... تريد أن تفعل أي شيء كي تنقذ زوجها من براثن عشيقته.

قالت جوانيتا وهي على عتبة غرفة الطعام:

«المكالمة لك. إنه السينيور ديبغو».

«هل يريد أن استقبله في المطار؟»

«إنه يتكلم من مكسيكو يا سينيورا».

جفّ حلق لورا ورفعت السماعة وقالت:

« ديبغو، ماذا جرى؟ هل أنت متأخر؟»

«إني أسف يا حبيبتي، لن أستطيع الحضور هذا المساء».

«آه، لكن كل شيء جاهز.. كنت انتظرك...»

«إني آسف. هناك أعمال مهمة عليّ الاهتمام بها شخصياً... سأصل بعد ظهر الأحد، من دون شك».

فقالت في ذهول:

«الأحد إلى اللقاء يوم الأحد».

«لديّ مواعيد مساء اليوم وطيلة يوم غد. ان المكسيكيين مشهورون بأنهم يفضلون العمل على اللهو والمرح، وسوف أجاريهم هذه المرة، برغم... شوقي اليك...»

قالت لورا وهي تعض على شفتيها:

«حسناً، اذاً... الى... يوم الاحد»

«أعدك بذلك وسأتصل بك في حال حدوث أي تغيير».

لكن لورا لم تعد تسمع شيئاً. كانت تفكر بالمكالمة الهاتفية. هل كان ديبغو غير قادر على المجيء أم أنه لم يكن يريد ذلك؟ ماذا وراء كل هذه المواعيد؟ هل هناك امرأة اخرى في حياته؟

مكالمته الهاتفية في اليوم التالي التي أخبر لورا فيها أنه سيؤخر عودته ثمان وأربعين ساعة أخرى، بدأت تؤكد شكوكها. فقال ديبغو:

«لديّ مواعيد مهمة جداً يوم الاثنين ويوم الثلاثاء. وبالتالي لا يسعني الوصول قبل مساء الثلاثاء. لكنني أنوي قضاء الاسبوع كله معك في الفيللا».

فقالت له في صوت جاف قبل أن تقفل الخط في وجهه:

«لا تقلق عليّ. أرجو أن تمضي عطلة جميلة مع عشيقتك!»

آه لو تستطيع أن تتحمّل هذا الوضع أين يمكنها أن تذهب؟ بمن تستطيع الاتصال؟ إن فقدانها الذاكرة يمنعها من مغادرة هذاالسجن الذهبي، فيللا جاسينتا.

كانت أحلامها مهدّدة برؤية امرأة سمراء يمضي دييغو معها أيامه في مكسيكو. لماذا تزوجها اذاً. هي، الشقراء، النحيفة، المختلف جمالها عن الجمال المكسيكي؟ حاولت أن تجد تفسيراً. لكن ذكرياتها تهرب منها. ربما كان زواجهما على وشك الانهيار قبل الحادث؟ وهذا يفسّر تهرب دييغو منها.

يوم الاثنين، أي قبل عودة دييغو بيوم واحد، عادت الى لورا ذاكرتها في طريقة صاعقة وغير منتظرة.

«سينيورا! هناك زائر».

كانت منغمسة في رسم العصافير الملوّنة المتجمعة حول فتات الخبز، فلم تأبه في البدء لهذا النداء. لقد نصحها دييغو بأن تلجأ الى الرسم حتى لا تضجر خلال فترة غيابه عن الفيللا. وكان ذلك اكتشاف جميل. عندما ترسم تنسى كل شيء».

ردّدت جوانيتا قائلة:

«سينيورا، لديك زائر...»

فقاطعها صوت رجل قائلاً:

«لا تقلقي. سأكلم الانسة ترانت بنفسي. آه عفوا...السينيورا راميريز...»

قطّبت جبينها وهي ترى الزائر يقترب منها. يبدو أنه اميركي. بماذا ناداها بادىء الأمر؟ الآنسة ترانت... لكن... ربما سيكون قادراً على أن

يوضح لها شيئاً عن ماضيها.

قالت لورا وهي ترمق زائرها بنظرة متسائلة:

«حسناً، يا جوانيتا. سأستقبل السيد... السيد... أوه...؟»

« لورا! هذا أنا... برانت لا تقولي إنك نسيت من أكون!»

خيبة الأمل ضغطت على قلب المرأة. هذا الرجل الجميل المظهر ذو الشعر الكستنائي، مجهول تماماً بالنسبة اليها.

قالت لجوانيتا وهي تمسح أصابعها الملينة بالدهان:

«إجلبي لنا القهوة».

ثم قالت لزائرها:

«آسفة. إنني لا أعرفك...»

«أتسخرين مني؟ أنا برانت! كنا مخطوبين، ألا تذكرين. لكنني بدأت أفهم لماذا تخلّيت عني، من أجل هذا المكسيكي راميريز».

تلعثمت من دون أن تتوقّف لحظة عن النظر اليه بامعان:

«أنا، أنا التي هجرتك؟»

ثم لاحظت أن جوانيتا ما زالت مكانها، فرمقتها بنظرة جافة وقالت لها:

« جوانيتا، طلبت منك اعداد القهوة».

أجابت المرأة المكسيكية قبل أن تبتعد:

«نعم، نعم، يا سينيورا».

قالت لورا بلباقة وهي تجلس في مقعد من القش:

«اجلس. إن جوانيتا ترعاني منذ الحادث».

الحادث؟ أي حادث؟»

«إنها قصة تافهة. كنت ممدّدة على الشاطئ، تحت شجرة جوز الهند. فوقعت حبة من الشجرة وأصابتني في جبيني. ومنذ ذلك الوقت وأنا فاقدة الذاكرة كلياً».

جلس الرجل على المقعد شاحب اللون وسألها وهو يحدّق في عينيها:

«هل صحيح أنك لا تتذكّرين أي شيء؟»

«لا شيء أو تقريباً. أحياناً قليلة أرى صوراً تنبعث من الماضي... ويؤكد الأطباء أنني سأستعيد ذاكرتي مع مرور الزمن، لكن...»

ترددت. هل بامكانها أن تسأل هذا الرجل الذي كان يعرفها جيداً شيئاً عن ماضيها؟»

فقال برانت:

«غريب. إنك لا تتذكرينني».

لم تجب. فقد جاءت جوانيتا لتضع الصينية على الطاولة وتبتعد.

«يا لورا. كنا على وشك الزواج... وهذا أمر لا يمكن لانسان أن ينساه».

سألته لورا وهي تسكب القهوة:

«هل تزوّجت من ديبغو قبل أن أفسخ خطبتي منك؟»

«كلا. لقد أرسلت لي خاتم الخطبة وقلت لي إنك واقعة في غرام هذا الرجل».

«إني أشعر بأنني أحببت ديبغو منذ اللحظة التي رأيته فيها. انه...»

أنهى برانت كلامها:

«غني؟»

تقلّصت لورا. ماذا يعني بذلك؟ هل يعني أنها فتاة انتهازية؟

«نعم. إنه غني جداً»

«وذو نفوذ. أعرف ذلك. ومع ذلك ترك والدك يموت في أحد السجون المكسيكية! أي نوع من الرجال هو؟ إني ارى أن ...»

لكن لورا لم تعد تسمع صوته. فقد استعادت ذاكرتها. فجأة كان رأسها يدقّ كالطبل وكذلك أذناها.

والدها... دان ترانت... تخيّلت وجهه الرمادي، في زنزانة معتمة. وأمامه طاولة وضعت عليها الأباريق والزجاجات. وسمعت صوت والدها رافعاً كأسه ويقول:

«ليكن زواجك سعيداً مثل زواجي...»

انتصبت ورفست بعنف مقعدها الذي سقط وراحت تصرخ مثل حيوان جريح:

«أبي! أبي! أبي!...»

ثم غابت عن الوعي.

١١ ـ وتألّق القلب

لاح نور خفيف من وراء الستائر عندما فتحت لورا عينيها. وانحنت جوانيتا الجالسة في كرسي قرب السرير، نحو الوجه الذي بدأ يستعيد لونه. فابتسمت لورا قليلاً، وانفجرت الخادمة بالبكاء وقالت وهي تتمسّك بذراعها الممددة على الغطاء:

«آه، سينيورا. ما كان ينبغي أن أسمح لهذا الرجل بالدخول. آه، لو أدركت أن بامكانه أن يؤذيك...! سامحيني، يا سينيورا!».

تمتمت لورا بصوت مرتجف:

«لست مخطئة، يا جوانيتا. في كل حال، لم يقصد برانت إيذائي. ما... ما قاله لي أعاد اليّ الذاكرة بصورة صاعقة. وانفجر رأسي. هذا كل ما حدث».

ضغطت جوانيتا بيديها على صدغيها ونظرت الى لورا بخوف وقالت:

«سيغضب السينيور دييغو منّي كثيراً. سيقول لي أنني...»

قاطعتها لورا قائلة:

«لا تخافي، يا جوانيتا. سأقول إنّ برانت دخل بالقوة... أوه... هل

تمكّنت من الاتصال بزوجي؟»

«نعم، سينيورا. تقريباً... لم أتمكّن من التحدث اليه شخصياً. تركت له رسالة مع مدير الفندق الذي كان عليه أن يتصل به عند السينيورا فرانسيسكا بوردي، حيث كان معها في زيارة عمل».

زيارة عمل... صورة ممزّقة نصف منسية برقت فجأة في مخيلة لورا. وتذكّرت وجه دييغو الأسمر المنحني فوق وجه فرانسيسكا المليء بالدموع. لم يكن من الصعب تخيّل نوعية الأعمال التي يقوم بها دييغو مع هذه الأرملة الشابة السمراء...

قالت لورا كاذبة:

«إنني بحاجة الى النوم الآن».

«أخاف أن أتركك، يا سينيورا. إنّ السينيور دييغو...»

«أنا في حالة جيّدة، يا جوانيتا. لا تقلقي عليّ. إنني بحاجة الى قليل من الراحة».

«ألا تريدين شيئاً ما، يا سينيورا؟»

«لا، شكراً. لا أريد أن يزعجني أحد».

لكنها لم تتوقّف عن التفكير. كانت تستعيد الذكريات، الواحدة بعد الأخرى. كل حوادث حياتها الماضية تعود شيئاً فشيئاً الى مكانها. وعندما تذكّرت موت والدها في السجن المكسيكي، بدأت الدموع تنهمر من عينيها. هل اعتقاله هو السبب الرئيسي لموته؟ لم تنس لورا العشاء الذي تناولته برفقته في مطعم الميرادور في ذلك المساء. لاحظت ملامح وجهه المشدود، كان قد فقد حيويته العادية. «إني أتساءل ما إذا كان قلبي يتحمّل هذا النوع من الانفعال»، هذا ما قاله لها وهما

يشاهدان الغطاسين يقفزون من أعالي الصخور. لقد اعتبرت هذا التعليق بمثابة مزحة. هل كان دان حينذاك مصاباً بمرض القلب. فجاء السجن ليعقّد له الأمور. وتذكّرت لورا وجه الرمادي الشاحب خلال زياراتها العديدة له في السجن. كانت تعتبر ذلك ناتجاً عن الجوّ المشحون داخل الزنزانة وابتعاده عن الشمس والهواء والحرّية. وبرغم كل الاهتمام الذي كان دييغو يوليه لعمه، لم ينجح في إعطائه الحرّية التي كان يرغب فيها قبل أي شيء آخر.

وأخذت الأفكار تعود باتجاه دييغو... الى يوم الحادث، الى الشاطىء. كيف نسيت تلك اللحظات السعيدة مع دييغو؟ راحت تتذكّر دييغو منحنياً فوقها يداعبها بحنان فائق.

كل شيء يعود الآن الى ذاكرتها في دقّة تامة، جاعلاً إياها مرهقة ومتلاشية. في تلك المرحلة كانت تعرف أنّ زواجها كان مهدداً. فقد قبل دييغو فكرة فسخ الزواج. ثم... فرانسيسكا، المرأة السمراء الجذّابة، ظهرت في المشهد بصورة مباغتة. لماذا تعلّق دييغو بهذه المرأة الاميركية المتحررة وهو الذي يتمتع بعقلية مكسيكية متعصبة؟

لكن حصل ما حصل على الشاطىء، وعرف دييغو أنها كذبت عليه ليلة عرسها تاركة إياه يعتقد بأنها وبرانت كانا عاشقين...

فجأة شعرت بانتفاضة في كل أنحاء جسمها. في ذلك النهار عندما كانت على الشاطىء، قبل الحادث، كان دييغو يعرف تماماً أنّ والدها مات وإذا كان قد عاد باكراً من مكسيكو، فذلك لأنه تلقى المكالمة الهاتفية من رئيس شرطة أكابولكو. لماذا أحبها في هذا النهار بالذات؟

كان والدها قد مات. ولا شيء يمنع فسخ الزواج. فكان حراً بأن يتزوّج فرانسيسكا عندما يتم فسخ الزواج. هل لأنه فاجأ غيبارمو معها أحسّ برغبة عنيفة في أن يجعلها زوجته في الحال. مهما كان الأمر، كان تصرّفه وقحاً وهو يعرف أنّ والدها مات.

نهضت من السرير وأسرعت الى خزانتها. وبسرعة أخرجت حقيبتها الجلدية الحمراء، وراحت تضع حاجياتها وهي تفكّر بعصبية واضطراب.

أين تستطيع الذهاب في أكابولكو من دون أن يكتشف دييغو مكانها ويعيدها الى الفيللا؟ إنّ الندم جعله يعتني بها عناية كبيرة منذ الحادث. وهي تفهم الآن لماذا كان ينتظر بصبر أن تستعيد ذاكرتها بصورة طبيعية. ربما كان يأمل بألاّ تشفى تماماً. في كل حال، ألا يتمتع دييغو بحياة ذهبية؟ لديه زوجة وديعة وطيّعة مدفونة في فيللا جاسينتا، وعشيقة ملتهبة في مكسيكو؟

أقفلت حقيبتها ونظرت الى حقيبة يدها. لديها من المال ما يكفي لأن تمضي بضعة أيام في فندق من الدرجة الثانية قبل أن تستقلّ الطائرة الى لوس انجلوس. إنها لا تريد مغادرة أكابولكو قبل أن تعرف أين دفنوا والدها. كانت أمنيته أن يُدفن قرب زوجته، وستحاول أن تنقل جثمانه الى مدافن لوس انجلوس حيث ترقد والدتها.

هل ما زال برانت هنا في أكابولكو؟ ربما. لكنه ينزل ولا شك في أحد الفنادق الفخمة التي تحيط الخليج. ولا مجال للورا لأن تذهب للبحث عنه هناك، حيث يمكن لدييغو أن يكتشفها بسهولة... لا... من الأفضل أن تنزل في فندق متواضع يقع على أحد التلال البعيدة عن الشاطىء. وهناك يمكنها أن تمضي وقتها من دون أن يلاحظ أحد

وجودها.

لم تجد أية صعوبة في صف السيارة في المطار والمرور بين مجموعة كبيرة من السيّاح الآتين من مكسيكو. لكنّ الأمور تعقّدت فجأة عندما لمحت شبح ديغو الذي كان يرتدي بذلة رمادية شاهدته يرفع يده ليوقف سيارة أجرة. ثم يدخل اليها وينظر في تقلّص أمامه. إنه يستحق ما يحصل له الآن. ماذا أخبر فرانسيسكا؟ عندما قرأ رسالتها، لا شك أنه كان بين ذراعي هذه المرأة السمراء.

«سينيورا!»

توقّفت سيارة تاكسي أمامها.

«اين تذهبين؟»

«إني ابحث عن فندق صغير في حي أكابولكو القديم».

قادها السائق الى التلال العالية وتوقّف أمام بناء مؤلف من أربعة طوابق. وقال:

«إنه فندق روزاريو. سأسأل إذا كان ثمة غرفة فارغة. هل تريدين غرفة بسرير واحد؟»

«نعم، ولبضعة ايام فقط».

دخل السائق الى الفندق وفهمت لورا أنها ستدفع مبلغاً ضخماً للحصول على هذه الغرفة وأنّ السائق سيقبض عمولة. هزّت كتفيها في استياء وقالت إنّ هذه الأمور ليست مهمة في الوقت الحاضر. المهم هو أن تبتعد عن ديغو الذي لن يخطر في باله أنها تقيم في مثل هذا المكان. كما أنه اذا رأى سيارته في المطار سيفكّر في الحال أنها استقلت الطائرة الى كاليفورنيا ولن يفكّر في البحث عنها في مدينة

الحمّامات.

ظهر السائق أخيراً:

«هناك غرفة واحدة، يا سينيورا وسعرها مرتفع».

احمرّت لورا غضباً عندما عرفت القيمة المتوجب عليها أن تدفعها. إنّ شقتها الصغيرة في بانوراما تكلّف السعر نفسه. لكن ليس أمامها خيار آخر. اومأت اليه موافقة. وهبطت من سيارة التاكسي بينما أخرج السائق حقيبتها من الصندوق. رائحة العفن تتصاعد من البهو ولدى دخولها انحنى صاحب الفندق السمين وابتسم لدى توقيعها على السجل. فقد وقّعت باسم والدتها قبل الزواج: بربارة فوريس.

صعدت الى الغرفة في الطابق الثاني. إنها صغيرة جداً، وفيها مروحة بطيئة، ومغسلة قديمة ومقعدان من القش وخزانة على بابها ستائر باهتة تستعمل في الوقت نفسه كمنضدة للزينة. وفي إحدى الزوايا سرير عريض من الحديد المقشر.

قالت لورا في قرف:

«إنها غالية الثمن نسبة الى ما تحتويه من أشياء غير مريحة».

فقال صاحب الفندق وهو ينظر اليها في ارتباك ويتأمّل ملابسها الأنيقة:

«انه الموسم يا سينيورا. ثم إنك لم تحجزي من قبل...»

«نعم. أعرف. لن أبقى هنا مدّة طويلة».

«سأرسل لك حقيبتك بأسرع ما يمكن».

قبل أن يجلب لها الخادم الحقيبة، لاحظت لورا أنّ السرير يطلق صريراً قوياً وأنّ المروحة تجلب هواء رطباً رائحته كريهة.

عندما أصبحت لورا وحدها، تمددت على السرير وهي تتصبب عرقاً وثيابها تلتصق بجسدها. كانت تحدق بشفرات المروحة. ربما كان من الأفضل لو أنها ذهبت لتبحث عن برانت لتستدين منه المال لتستأجر غرفة تليق بها. لكن ربما اضطر لأن يطرح عليها اسئلة محرجة. وربما أقنعها بمنطقه مؤكداً لها أن دييغو لم يعد له حقوق عليها ما دام أرغمها على أن تتزوجه ابتزازاً.

اغمضت عينيها كيلا ترى هذه الغرفة الحقيرة. نعم، قانونياً، ربما لم يعد لدييغو أي حق عليها... لكنها تشعر بأنه يمتلكها جسداً وروحاً... لا يمكنها أبداً أن تمنح رجلاً آخر هذا الحب الممزوج بالشغف.

أيقظها دوي الرعد من نوم عميق. ارتعشت ثم نهضت خائفة لوجودها في هذه الغرفة الحقيرة المظلمة. من جديد، سمعت طرقات على الباب. فتقدمت وهمست بصوت يرتجف وهي تشعل النور:

«من... من هنا؟»

« دييغو».

ألقت نظرة خاطفة الى الغرفة آملة أن تجد وسيلة للهرب. حينذاك شاهدت حشرات صغيرة تسرع بالانسحاب من السقف وجدران الغرفة وتختبىء في ثقوب الخشب والجص.

ارتعبت لهذا المنظر وصرخت بأعلى صوتها. وفي الحال سمعت ضربة قوية وصوت الخشب المتحطم.

دخل دييغو من الباب وسألها:

« لورا حبيبتي، ماذا جرى؟»

فأشارت لورا باصبعها الى الحشرات ذات القرون الطويلة

المنتشرة هنا وهناك.

جذبها نحوه وأخفى وجهها بصدره وقال بصوت هادىء، وهو يداعب شعرها:

«هذا لا شيء، يا حبيبتي. هذه الحشرات الصغيرة غير مؤذية».

هدهدها لحظة ليهدىء من خوفها، ثم أبعدها عنه بلطف وسألها:

«هل أنت مطمئنة الآن؟»

أشارت له برأسها ايجاباً.

سألها وهو يشير الى حقيبتها الحمراء:

«أهذا كل ما لديك من أمتعة؟»

«نعم، لم أكن احتاج إلى أكثر من هذا».

حمل الحقيبة وقال:

«تعالي».

كان صاحب الفندق ينتظرهما في المدخل، فقال:

«إني آسف، يا سينيور راميريز. لم أكن اعرف أن السينيورا هي زوجتك...»

«كيف تجرأت على تأجير مثل هذا الكوخ القذر! أحب أن أعرف كم طلبت أجرة لمثل هذا المأجور؟»

أطلعت لورا دييغو على المبلغ الذي دفعته، فحدج دييغو صاحب الفندق بغضب وقال:

«عليك إعادة ثلاثة أرباع المبلغ الذي قبضته، في الحال. والباقي يكفي لتصليح الباب الذي خلعته الآن. إنك تفقد سمعتك بطريقة ذليلة».

راح الرجل يعتذر شارحاً وضعه. ولمّـا أعاد المبلغ، أخذ دييغو لورا بذراعها وخرجا معاً الى الشـارع حيـث تنتظرهما سيار المرسيدس.

صعدا الى السيارة وأقلع بها دييغو سالكاً اتجاه وسط اكابولكو ران صمت ثقيل. أخيراً سألته لورا بصوت خفيض من دون أن تجرؤ على النظر اليه:

«كيف توصّلت الى اكتشاف مكان وجودي؟»

«لم يكن ذلك سحراً. صحيح أنك تركت السيارة في المطار لتوهميني أنك غادرت البلاد. لكنني لم أنخدع بذلك. إني أعرفك جيداً، وأعرف أنك لن تغادري أكابولكو قبل أن تعرفي أين دفن والدك. لقد بحثت عنك في كل فنادق المدينة ابتداء من الفنادق الفخمة. ولمّا وصلت الى هنا، قرأت اسم والدتك على سجلات فندق روزاربو.»

«اسم والدتي؟ كيف عرفت أنّ هذا الاسم هو اسم والدتي؟ لم أذكره أمامك أبداً!»

«قرأته على مقبرتها عندما كانوا يدفنون والدك الى جانبها».

أطلقت زفرة ممزّقة.

« لورا حبيبتي، هل تتذكّرين... كل شيء؟»

همست بعدما أزاحت وجهها عنه حتى لا يرى الدموع في عينيها:

«نعم».

ثم أضافت بصوت متقلّب:

«إني سعيدة لأن والدي دفن قرب والدتي. شكراً... على ذلك»

سألها بحيوية:

«لماذا تشكرينني على هذا فقط؟ ألم أفعل كل ما في وسعي لأعالجك وأهتمّ بك بعد الحادث الذي افقدك الذاكرة؟»

أطلقت ضحكة صفراء، وقالت:

«حتى اليوم لم أكن أصدّق المثل الذي يقول «إنّ الجهل هو سلام الحياة». لم تقل لي شيئاً يا دييغو، ولم تعلمني بموت والدي. ولا أذكر ما تبقّى من احداث عندما يجهل المرء سوء حظه. فلا يتألم من ذلك، أليس هذا صحيحاً؟»

قاطعها بلهجة ساخطة:

«كفى يا لورا! سنستأنف هذا الحديث في المنزل».

المنزل؟ اين منزلها؟ إنها لا تذكر شيئاً عن فيللا جاسينتا ولا عن مسكنها الفخم في مكسيكو. قبل وفاة والدها كان منزلها الحقيقي هو يخته. فماذا حلّ باليخت؟

وما أن وصلت السيارة الى مدخل فيللا جاسينتا حتى تذكّرت لورا فجأة جوانيتا وكارلوس ماذا يقولان عن اختفائها؟ هل هما على علم بالحادث الذي حصل بينها وبين غيبارمو، مباشرة قبل الحادث؟ ربما نعم، لأنها منذ ذلك الحين لم تعد تسمع عنه شيئاً.

استقبلتها جوانيتا الشاحبة اللون قلقاً. وفي صوت خافت حيتها ثم سألت دييغو ماذا يريد أن يتعشى؟

«أحضري لنا شيئاً. سنتناول العشاء في الصالون الصغير».

شعرت لورا أنها على وشك الانهيار عندما تركها دييغو في الغرفة الكبيرة التي لم تكن تتصوّر أنها ستراها مرّة اخرى. ولكنها بعدما اخذت حماماً فاتراً شعرت بالاسترخاء والارتياح.

كانت جالسة أمام منضدة الزينة تسرّح شعرها الأشقر عندما دخل دييغو الى الغرفة. كان يبدو شديد السمرة بقميصه الحريري الأبيض وبنطلونه الأزرق الفاتح. وشعره الأسود السميك الرطب مملّساً الى الوراء. ولدى رؤية زوجته في قميصها الحريري الأخضر، لمع بريق في عينيه الداكنتين.

«عندما تصبحين مستعدة، ستتوجه الى الصالون الصغير لنتحدث في أمور كثيرة».

قالت وهي تلقي نظرة أخيرة الى المرآة قبل أن تنهض:

«هل أنت متأكد من ذلك. كان يبدو لي أنّ الامور واضحة بيننا. لقد مات والدي، ولم يعد هناك مبرّر لاستمرار زواجنا. لقد وعدتني بأن تعيد لي حريتي».

قال دييغو:

«إنّ زواجنا هو الآن أمر واقع، يا حبيبتي. لم يعد بامكاننا الرجوع الى الوراء».

لم تتمكّن من إخفاء توتّرها. فابتعدت وأزاحت الستائر عن النافذة ونظرت الى الليل والقمر الذي كان بدراً:

«لا شك أنّ هناك مجالاً لفسخ الزواج...»

انتفضت لدى شعورها بيدي دييغو تربتان على كتفيها. فلم تسمع صوت خطواته. وسألها:

«لماذا؟ لماذا تحبّين أن تعذبيني؟ ألا يمكننا أن نعيش سعيدين؟ ألم نختبر معاً الفرح في تقاسم الحب؟ تذكري، يا حبيبتي، على الشاطىء، كنت تريدينني كما كنت أريدك. اعترفي بذلك، يا لورا. كوني مخلصة

وصادقة مع نفسك...»

نظرت إليه ثم أغمضت عينيها. هل بامكانها أن تنسى ما حدث معها في ذلك اليوم، على الشاطىء، تحت شجرة جوز الهند؟

همس دييغو في أذنيها وهو يعانقها:

«لم تستطيعي يومذاك أن تخفي حقيقة أحاسيسك».

ومرّة اخرى راحت تشعر بالذوبان لدى ملامساته البارعة. وراحت هي بدورها تلامس عنقه ثم حملها بين ذراعيه ووضعها على السرير. حاولت أن تقاوم لكن بدون جدوى. لكنها قامت بجهد كبير لتتخلّص من قبضة دييغو وعناقه. ووقفت وهي تنظر اليه في احتقار وقالت:

«كيف تجروء على ملامستي؟ ادخر ملامستك البارعة لفرانسيسكا، لأنها بلا شك تقدّرها...»

«لا أفهم. ما دخل فرانسيسكا في الموضوع».

ضحكت لورا بسخرية وقالت:

«ربما نسيت يا دييغو، لكنني ما زلت أذكر كل شيء، أذكر الليلة التي أمضيتها معها بعدما شاهدتكما متعانقين. كما أنك كنت وقحاً للغاية إذ أنك ما إن خرجت من سرير عشيقتك حتى لحقت بي مصراً على القيام بواجباتك الزوجية برغم أنك كنت تعرف تماماً أنّ والدي ميت على بعد مسافة قصيرة من هنا. أنت رجل كريه وفظ».

صرخ دييغو، شاحب اللون:

«لا. هذا غير صحيح! أعترف بأنني ربما كنت عنيفاً ذلك اليوم على الشاطىء... لكن... إني أقسم لك بأنني لم أكن أعرف أنّ والدك مات».

«هذا مستحيل. لقد اتصل بي رئيس شرطة أكابولكو في اليوم الذي كنت على موعد مع وزير العدل. قال لي إنّ والدي... ذهب. اعتقدت أنّ ... أن... اعتقدت أنّهم نقلوه الى مكسيكو ليصار الى محاكمته بسرعة. لقد... أعطيت الشرطي رقم هاتفك في المنزل وفي المكتب حتى يتمكّن من الاتصال بك».

اقترب دييغو منها ووضع يديه اللاهبتين على كتفيها:

«لم أتلق أيّة مكالمة. ربما لأني كنت حينذاك في الطائرة. لقد أخبرني وزير العدل أنهم ألقوا القبض على الرجلين اللّذين استأجرا اليخت من والدك. وهذان الرجلان أثبتا براءته، وجئت بسرعة لأخبرك بالأمر».

«تريد أن تقول أنّ السلطات كانت أطلقت سراح والدي؟»

«نعم. لم أعرف أنه مات إلاّ بعد الحادث الذي تعرّضت له... لورا، هل بإمكانك الاعتقاد لحظة واحدة أنه بوسعي أن اجعلك امرأتي بالفعل لو كنت على علم بوفاة والدك؟»

«كنت أعتقد أنك كنت تريد أن تربح على الجهتين. فرانسيسكا في مكسيكو، وأنا هنا...»

قال مستغرباً وهو يحك رقبته:

«يا إلهي. لو عشت مئة ألف سنة فلن أتوصّل الى معرفة كيف يعمل دماغ المرأة! لكنني في ذلك اليوم كنت أحبك كثيراً ولا يمكن لأحد أن يمنعني من التعبير عن حبي. ألم تشعري بذلك؟ هل في امكاني التعبير عن حبي لو كان ثمة امرأة اخرى في حياتي؟ أنا لا انظاهر بالحب. إني احبك حقاً، وأنا مجنون بحبك منذ اليوم الأول الذي التقيتك فيه. كيف تستطيعين التفكير أنّ هناك امرأة اخرى؟»

«ليس هذا صعباً! ألم أرك تعانق فرانسيسكا؟»

«هل تغارين منها يا حبيبتي».

«نعم. اكتشفت تلك الليلة بالذات أنني أحبك. انتظرتك بحرارة وبلهفة. لكن بدلاً من أن تعود إليّ. رأيتك تذهب معها...»

«آه، حبيبتي!»

وبسرعة اقترب منها وأخذها بين ذراعيه. وجذبها الى السرير:

«تعالي. دعيني أشرح لك ما حدث».

وضع دييغو ذراعه حول خصرها وقال:

«عندما كنت صغيراً، كانت فرانسيسكا تصغرني بسنتين فقط وكنا مخطوبين. وأهلنا يحبون هذه العلاقة. لكنّ القدر كان مختلفاً. تعرّفت فرانسيسكا الى انطوان وأحبّته وتزوجته، بينما كنت أحلم بالمرأة التي ستصبح يوماً ما زوجتي ورفيقة حياتي».

أطلق زفرة عميقة ثم تابع يقول:

«مات انطوان وعادت فرانسيسكا الى مكسيكو حيث بدأت أعمال زوجها تنهار. فطلبت مني أن أساعدها. وهذا العناق الذي حصل بيننا هو عناق الاخوّة. صحيح أني رافقتها تلك الليلة الى منزلها. لكني لم أبق مدّة طويلة. أمضيت الليل كلّه أقاوم رغبتي في اللحاق بك...»

«آه...»

«لو جئت كما وعدتك به يا حبيبتي، لكنت أصبحت ليلتها زوجتي. لكني كنت أخشى مجابهة كرهك. كيف لي أن أعرف أنّ عواطفك نحوي تغيّرت؟»

«في كل حال لم تكن تريد امرأة أحبّت أحداً قبلك، زوجة لك. ليلة

عرسنا تركتني بعدما اعتقدت أني كنت عشيقة برانت».

هزّ دييغو رأسه وقال:

«في الحقيقة، لست متشبثاً تماماً بهذا الموقف. يمكنني أن أقرّ بعض التصرفات ولكنك عندما لفظت في تلك اللحظة الحاسمة اسم برانت، تأكدت تماماً أنك ما أحببتني. ولهذا السبب وعدتك بأن أعيد لك حريتك عندما يخرج والدك من السجن، وثم...»

«ثم، ماذا...؟»

«بعد الحادث الذي وقع لك، قلت ورددت على مسمعي مراراً أنك تحبينني وأنك تريدينني. لكنني لم أكن قادراً على أن ألبي رغباتك، كما حصل بيننا على الشاطىء. لقد أجبرتك على أن تستسلمي لي...»

وبطرف اصابعها، لمست لورا شفتي دييغو وقالت:

«إذا كانت ذاكرتي سليمة، فإنني أذكر أنني تجاوبت معك، في ذلك اليوم، على الشاطىء. هل صحيح أنك كنت تحبني منذ البداية».

«لم أكفّ عن التفكير فيك منذ اليوم الأول. أنت أغلى شيء عندي في العالم. أنت امرأة أحلامي الى الأبد. لا يمكنني أن أعيش من دونك».

«حتى وان لم أكن في مستوى والدتك؟»

«والدتي. ما دخل والدتي بالأمر؟»

«تعتقد كونسويلو أنك أسير حبك لوالدتك. وهي تعتقد بأنك تزوجتني فقط لأنني أشبهها».

«هذا خطأ. إنها تتحدث على هواها لتجعلك تغارين. كانت تأمل دائماً بأنني سأتزوجها بعد وفاة أخي. زواجي منك أغضبها».

«آه، دييغو. لقد ارتحت الآن. لم أكن أعرف...»

وضعت لورا رأسها على كتف زوجها وأضافت في خجل:

«هل تغفر لي لأني شككت فيك؟»

«وأنا أيضاً يا حبيبتي، اعترف بأنني أتحمّل بعض المسؤولية».

«ما علينا إلاّ ان نبدأ من جديد».

«وأن نعوّض الوقت الضائع وألاّ ننتظر دقيقة واحدة...»

قالت جوانيتا:

«سينيور، سينيورا! العشاء جاهز!»

قال دييغو قبل أن يعانق لورا:

«حافظي عليه ساخناً».

ثم قال للورا:

«أنا جائع إليك... يا حبي».